(١١٢) سورة الإخلاص مكية وآياتها أربع

سورة الإخلاص مكية ، وهي تعلن التوحيد الخالص ، وتنزيه الباري جل وعلا وتقديسه عن النظير ، والشبيه ، والمثيل ، وتقيم البراهين القاطعة على وحدانيته جل وعلا ، فهي سورة التوحيد ، وسورة الإخلاص ، وهي ترد على مذاهب أهل الضلال الذين نسبوا لله الذرية والولد ، وقد جاء في الحديث « أنها تعدل ثلث القرآن » وذلك لأن علوم القرآن ثلاثة : توحيد ، وأحكام ، وقصص ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن .

● ● ●

سورة الإخلاص

[١٠٤٩] أخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة من طريق أبي العالية عن أُبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله [ﷺ] أنسب لنا ربك فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[١] إلى آخرها.

وأخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبدالله فاستدل بها على أن السورة مكيّة.

[١٠٥٠] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن اليهود جاءت إلى النبي [ﷺ] منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[٢] إلى آخرها.

[١٠٥١] وأخرج ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله فاستدل بهذا على أنها مدنيّة.

[١٠٥٢] ك.. وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قال قتادة قالت الأحزاب أنسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة وهذا المراد بالمشركين في حديث أُبي فتكون السورة مدنية كما دلّ عليه حديث ابن عباس وينتفي التعارض بين الحديثين، لكن أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي [ﷺ] فقالوا يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وإبليس من لهب النار والسماء من دخان والأرض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك فلم يجبهم فأتاه جبريل بهذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[٣].

[١٠٤٩] (١) سورة الإخلاص: الآية (١).
[١٠٥٠] (٢) سورة الإخلاص: الآية (١).
[١٠٥٢] (٣) سورة الإخلاص: الآية (١).

سورة الإخلاص

اربع آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾

قبل الخوض في التفسير لا بد من تقديم فصول:

الفصل الأول: روى أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَآمَنَ بِاللَّهِ»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَرَّةً وَاحِدَةً، أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مِائَةِ شهيد» وروى أَنَّهُ كَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُو ذَرٍّ قد أقبلَ، فقال عليه الصلاة والسلام: «أَوَ تعرفونه؟» قَالَ: هُوَ أَشْهَرُ عِنْدَنَا مِنْهُ عِنْدَكُمْ. فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بِمَاذَا نَالَ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ؟» قَالَ: لِصِغَرِهِ فِي نَفْسِهِ وَكَثْرَةِ قِرَاءَتِهِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. وروى أنس قال: كُنَّا في تبوك فطلعت الشمس ما لها شُعَاعٌ وَضِيَاءٌ وَمَا رَأَيْنَاهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ فَعَجِبَ كُلُّنَا، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فَيُصَلُّوا عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ ثُمَّ ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ الأَرْضَ فَأَزَالَ الْجِبَالَ، وَصَارَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَأَنَّهُ مُشْرِفٌ عَلَيْهِ فَصَلَّى هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «بِمَ بَلَغَ مَا بَلَغَ؟» فَقَالَ جِبْرِيلُ: كَانَ يُحِبُّ سُورَةَ الإِخْلَاصِ وروى أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو وَيَقُولُ: أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ! فَقَالَ: غَفَرَ لَكَ غَفَرَ لَكَ غَفَرَ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وعن سهل بن سعد: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَشَكَا إِلَيْهِ الْفَقْرَ فَقَالَ: «إِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَلِّمْ إِنْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ فَسَلِّمْ عَلَى نَفْسِكَ، وَاقْرَأْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَرَّةً وَاحِدَةً» فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَأَدَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقًا حَتَّى أَفَاضَ عَلَى جِيرَانِهِ. وعن أنس: أَنَّ رَجُلًا كَانَ

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ إنما جاءت الروايات بأن (قل هو الله أحد) تعادل ثلث القرآن: صحيح: أخرجه البخاري في كتاب (فضائل القرآن) باب (فضل: قل هو الله أحد) (٨/ ٦٧٦) حديث رقم (٥٠١٣) وأبو داود في كتاب (الصلاة) باب (في سورة الصمد) (٢/ ٦٣٤) حديث رقم (١٤٦١) والنسائي في كتاب (الافتتاح) باب (الفضل في قراءة: قل هو الله أحد) (٢/ ٥١٢) حديث رقم (٩٩٤) ومالك في (الموطأ) باب (ما جاء في قراءة: قل هو الله أحد وتبارك) (١/ ٢٠٨) حديث رقم (١٧) وأحمد في (مسنده) (٣/ ٩٣) جميعًا من طريق مالك... به.

يَقْرَأُ فِي جَمِيعِ صِلاَتِهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَسَأَلَهُ الرَّسُولُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ»(١) وقيل: من قرأها في المنام أعطي التوحيد وقلة العيال وكثرة الذكر لله، وكان مستجاب الدعوة.

الفصل الثاني في سبب نزولها، وفيه وجوه: الأول: أنها نزلت بسبب سؤال المشركين، قال الضحاك: إن المشركين أرسلوا عامر بن الطفيل إلى النبي ﷺ وقالوا: شققت عصانا، وسببت آلهتنا، وخالفت دين آبائك، فإن كنت فقيرًا أغنيناك، وإن كنت مجنونًا داويناك، وإن هويت امرأة زوجناكها. فقال عليه الصلاة والسلام: «**لَسْتُ بِفَقِيرٍ، ولا مجنون، ولا هويت المرأة، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَدْعُوكُمْ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ إِلَى عِبَادَتِهِ**» فأرسلوه ثانية وقالوا: قل له بيِّن لنا جنس معبودك، أمِن ذهب أو فضة. فأنزل الله هذه السورة، فقالوا له: ثلثمائة وستون صنمًا لا تقوم بحوائجنا، فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق؟ فنزلت: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات: ١-٤] فأرسلوه أخرى، وقالوا: بيِّن لنا أفعاله. فنزل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] **الثاني:** أنها نزلت بسبب سؤال اليهود، روى عكرمة عن ابن عباس أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ومعهم كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فغضب نبي الله عليه السلام فنزل جبريل فسكَّنه، وقال: اخفض جناحك يا محمد. فنزل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما تلاه عليهم قالوا: صف لنا ربك كيف عضده؟ وكيف ذراعه؟ فغضب أشد من غضبه الأول، فأتاه جبريل بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] **الثالث:** أنها نزلت بسبب سؤال النصارى، روى عطاء عن ابن عباس قال: قدم وفد نجران فقالوا: صف لنا ربك، أمِن زبرجد، أو ياقوت، أو ذهب، أو فضة؟ فقال: «**إِنَّ رَبِّي لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ لأَنَّهُ خَالِقُ الأَشْيَاءِ**» فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قالوا: هو واحد وأنت واحد. فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، قالوا: زدنا من الصفة. فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فقالوا: وما الصمد؟ فقال: الذي يصمد إليه الخلق في الحوائج. فقالوا: زدنا فنزل: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ كما ولدت مريم ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ كما وُلد عيسى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ يريد نظيرًا من خلقه.

الفصل الثالث في أساميها: اعلم أن كثرة الألقاب تدل على مزيد الفضيلة، والعرف يشهد لما ذكرناه: فأحدها: سورة التفريد. **وثانيها:** سورة التجريد. **وثالثها:** سورة التوحيد. **ورابعها:** سورة الإخلاص لأنه لم يذكر في هذه السورة سوى صفاته السلبية التي هي صفات الجلال، ولأن من اعتقده كان مخلصًا في دين الله، ولأن من مات عليه كان خلاصه من النار، ولأن ما قبله خلص

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم، حديث رقم (٧٧٤) والترمذي موصولاً عن البخاري في كتاب (فضائل القرآن) باب (سورة الإخلاص) (٥/ ١٥٦) حديث رقم (٢٩٠١) وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب صحيح من طريق مدرك بن فضالة... به.

في ذم أبي لهب فكان جزاء من قرأه أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب. **وخامسها:** سورة النجاة لأنها تنجيكَ عن التشبيه والكفر في الدنيا، وعن النار في الآخرة. **وسادسها:** سورة الولاية لأن من قرأها صار من أولياء الله، ولأن من عرف الله على هذا الوجه فقد والاه، فبعد محنة رحمة كما بعد منحة نعمة. **وسابعها:** سورة النسبة لما روينا أنه ورد جوابًا لسؤال من قال: انسب لنا ربك، ولأنه عليه السلام قال لرجل من بني سليم: «يَا أَخَا بَنِي سُلَيم اسْتَوْصِ بِنِسْبَةِ اللَّهِ خَيْرًا» (١) وهو من لطيف المباني؛ لأنهم لما قالوا: انسب لنا ربك. فقال: (نسبة الله هذا) والمحافظة على الأنساب من شأن العرب، وكانوا يتشددون على من يزيد في بعض الأنساب أو ينقص، فنسبة الله في هذه السورة أَوْلى بالمحافظة عليها. **وثامنها:** سورة المعرفة لأن معرفة الله لا تتم إلا بمعرفة هذه السورة، روى جابر أن رجلاً صلى فقرأ: (قل هو الله أحد) فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن هذا عبد عرف ربه» فسميت سورة المعرفة لذلك. **وتاسعها:** سورة الجَمَال، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» (٢) فسألوه عن ذلك فقال: أحد صمد لم يلد ولم يولد لأنه إذا لم يكن واحدًا عديم النظير، جاز أن ينوب ذلك المثل منابه. **وعاشرها:** سورة المقشقشة، يقال: تقشيش المريض مما به، فمن عرف هذا حصل له البرء من الشرك والنفاق لأن النفاق مرض كما قال: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [التوبة: ١٠] **الحادي عشر:** المعوذة، روى أنه عليه السلام دخل على عثمان بن مظعون فعوذه بها وباللتين بعدها، ثم قال: «تَعَوَّذْ بِهِنَّ، فَمَا تَعَوَّذْتَ بِخَيْرٍ مِنْهُنَّ» (٣) **والثاني عشر:** سورة الصمد لأنها مختصة بذكره تعالى. **والثالث عشر:** سورة الأساس، قال عليه الصلاة والسلام: «أُسِّسَتِ السَّمواتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ عَلَىَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (٤) ومما يدل عليه أن القول بالثلاثة سبب لخراب السموات والأرض بدليل قوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ﴾ [مريم: ٩٠] فوجب أن يكون التوحيد سببًا لعمارة هذه الأشياء وقيل السبب فيه معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) رواه الثعلبي في (الكشف والبيان) (٥/ ٥) من طريق حمدان بن عبد المروزي عن عبد الله بن سعيد عن عبد الله بن زيد العمي عن هشام بن عامر عن الشعبي عن مسروق عن عائشة... به.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في (صحيحه) (١/ ٩٣/ ٩١) من طريق إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود... به، وأحمد في (مسنده) (١/ ٣٩٩) حديث رقم (٣٧٨٩) من طريق يحيى بن جعدة عن ابن مسعود... به.

(٣) لم أجده من رواية عثمان بن مظعون، وإنما جاء عن عثمان بن عفان وإسناده ضعيف، أخرجه البيهقي في (الدعوات الكبير) (٢/ ٩٨) حديث رقم (٤٩٤) والخطيب في (تاريخ بغداد) (١٣/ ٢٨٦) كلاهما من طريق حفص بن سليمان حدثنا علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان... به، وفي إسناده حفص بن سليمان الأسدي قال الحافظ في التقريب: متروك الحديث مع إمامته في القراءة.

(٤) أخرجه الدينوري في المجالسة (٨/ ١٥٦) رقم (٣٤٥٨)، وأبو الحسن الخلعي في الفوائد (٥٣/ ٢) كما في السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني (٢/ ٥٨) رقم (٥٩٢) والحديث موضوع، فيه موسى بن محمد الدمياطي البلقاوي أبو طاهر، وأورده الذهبي في الميزان (٦/ ٥٥٩) ترجمة (٨٩٢٢) وحكم بوضعه الغماري في المغير (ص٢١).

لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] **الرابع عشر**: سورة المانعة، روى ابن عباس أنه تعالى قال لنبيه حين عرج به: أعطيتك سورة الإخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشي، وهي المانعة، تمنع عذاب القبر ولفحات النيران. **الخامس عشر**: سورة المحضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت. **السادس عشر**: المنفرة لأن الشيطان ينفر عند قراءتها. **السابع عشر**: البراءة لأنه روي أنه عليه السلام رأى رجلاً يقرأ هذه السورة، فقال: «**أما هذا فقد برئ من الشرك**» وقال عليه السلام: «**من قرأ سورة قل هو الله أحد مائة مرة في صلاة أو في غيرها كتبت له براءة من النار**» **الثامن عشر**: سورة المذكرة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد، فقراءة السورة كالوسمة، تذكرك ما تتغافل عنه مما أنت محتاج إليه. **التاسع عشر**: سورة النور، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] فهوالمنور للسموات والأرض، والسورة تنور قلبك، وقال عليه السلام: «**إِنَّ لِكلِّ شَيْءٍ نُورًا وَنُورُ الْقُرْآنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**»[١] ونظيره أن نور الإنسان في أصغر أعضائه وهو الحدقة، فصارت السورة للقرآن كالحدقة للإنسان. **العشرون**: سورة الأمان، قال عليه السلام: «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ حِصْنِي، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي**»[٢].

الفصل الرابع في فضائل هذه السورة، وهي من وجوه: الأول: اشتهر في الأحاديث أن قراءة هذه السورة تعدل قراءة ثلث القرآن، ولعل الغرض منه أن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله ومعرفة صفاته، ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات، فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن، وأما سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فهي معادلة لربع القرآن؛ لأن المقصود من القرآن إما الفعل وإما الترك، وكل واحد منهما فهو إما في أفعال القلوب وإما في أفعال الجوارح، فالأقسام أربعة، وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لبيان ما ينبغي تركه من أفعال القلوب، فكانت في الحقيقة مشتملة على ربع القرآن، ومن هذا السبب اشتركت السورتان أعني ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في بعض الأسامي، فهما المقشقشتان والمبرئتان، من حيث إن كل واحدة منهما تفيد براءة القلب عما سوى الله تعالى، إلا أن ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يفيد بلفظه البراءة عما سوى الله وملازمة الاشتغال بالله و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يفيد بلفظه الاشتغال بالله وملازمة الإعراض عن غير الله، أو من حيث إن ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تفيد براءة القلب عن سائر المعبودين سوى الله، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تفيد براءة المعبود عن كل ما لا يليق به. **الوجه الثاني**: وهو أن ليلة القدر لكونها صدقًا للقرآن كانت خيرًا من

---

(١) لم أجده.

(٢) ضعيف: رواه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٥/ ٤٦٢) والشجريه في (الأمالي) (١/ ٣١) وابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة) (٢/ ٥٩٥) جميعًا من طريق أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب... به وقال المناوي (٤/ ٤٩٠) قال: الحافظ العراقي: إسناده ضعيف. وأورده الألباني في (ضعيف الجامع) (٨٤٧٨) وقال: ضعيف.

ألف شهر، فالقرآن كله صدف، والدر هو قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلا جرم حصلت لها هذه الفضيلة. **الوجه الثالث:** وهو أن الدليل العقلي دل على أن أعظم درجات العبد أن يكون قلبه مستنيرًا بنور جلال الله وكبريائه، وذلك لا يحصل إلا من هذه السورة، فكانت هذه السورة أعظم السور، فإن قيل: فصفات الله أيضًا مذكورة في سائر السور. **قلنا:** لكن هذه السورة لها خاصية وهي أنها لصغرها في الصورة تبقى محفوظة في القلوب معلومة للعقول، فيكون ذكر جلال الله حاضرًا أبدًا بهذا السبب، فلا جرم امتازت عن سائر السور بهذه الفضائل. **ولنرجع الآن إلى التفسير:**

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن معرفة الله تعالى جنة حاضرة، إذ الجنة أن تنال ما يوافق عقلك وشهوتك، ولذلك لم تكن الجنة جنة لآدم لما نازع عقله هواه، ولا كان القبر سجنًا على المؤمن لأنه حصل له هناك ما يلائم عقله وهواه، ثم إن معرفة الله تعالى مما يريدها الهوى والعقل، فصارت جنة مطلقة، **وبيان ما قلنا:** أن العقل يريد أمينًا تودع عنده الحسنات، والشهوة تريد غنيًّا يطلب منه المستلذات، بل العقل كالإنسان الذي له همة عالية فلا ينقاد إلا لمولاه، والهوى كالمنتجع الذي إذا سمع حضور غني، فإنه ينشط للانتجاع إليه، بل العقل يطلب معرفة المولى ليشكر له النعم الماضية، والهوى يطلبها ليطمع منه في النعم المتربصة، فلما عرفاه كما أراده عالمًا وغنيًّا تعلقا بذيله، فقال العقل: لا أشكر أحدًا سواك. وقالت الشهوة: لا أسأل أحدًا إلا إياك. ثم جاءت الشبهة فقالت: يا عقل كيف أفردته بالشكر ولعل له مثلاً؟ ويا شهوة كيف اقتصرت عليه ولعل ههنا بابًا آخر؟ فبقي العقل متحيرًا وتنغصت عليه تلك الراحة، فأراد أن يسافر في عالم الاستدلال ليفوز بجوهرة اليقين، فكأن الحق سبحانه قال: كيف أنغص على عبدي لذة الاشتغال بخدمتي وشكري؟! فبعث الله رسوله وقال: لا تقله من عند نفسك، بل قل هو الذي عرفته صادقًا يقول لي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فعرفك الوحدانية بالسمع وكفاك مؤنة النظر والاستدلال بالعقل، وتحقيقه أن المطالب على ثلاثة أقسام: قسم منها لا يمكن الوصول إليه بالسمع، وهو كل ما تتوقف صحة السمع على صحته، كالعلم بذات الله تعالى وعلمه وقدرته وصحة المعجزات، وقسم منها لا يمكن الوصول إليه إلا بالسمع وهو وقوع كل ما عُلم بالعقل جواز وقوعه، وقسم ثالث يمكن الوصول إليه بالعقل والسمع معًا، وهو كالعلم بأنه واحد وبأنه مرئي... إلى غيرهما، وقد استقصينا في تقرير دلائل الوحدانية في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

المسألة الثانية: اعلم أنهم أجمعوا على أنه لا بد في سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من (قل) وأجمعوا على أنه لا يجوز لفظ (قل) في سورة ﴿تَبَّتْ﴾ وأما في هذه السورة فقد اختلفوا، فالقراءة المشهورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقرأ أُبي وابن مسعود بغير قل، هكذا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ

أَحَـدٌ﴾ وقرأ النبي ﷺ بدون (قُلْ هُوَ) هكذا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝﴾ فمن أثبت (قل) قال: السبب فيه بيان أن النظم ليس في مقدوره، بل يحكي كل ما يقال له. ومن حذفه قال: لئلا يتوهم أن ذلك ما كان معلومًا للنبي عليه الصلاة والسلام.

المسألة الثالثة: اعلم أن في إعراب هذه الآية وجوهًا: **أحدها**: أن (هو) كناية عن اسم الله، فيكون قوله: (الله) مرتفعًا بأنه خبر مبتدأ، ويجوز في قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ ما يجوز في قولك: زيد أخوك قائم. **الثاني**: أن (هو) كناية عن الشأن، وعلى هذا التقدير يكون الله مرتفعًا بالابتداء وأحد خبره، والجملة تكون خبرًا عن (هو) والتقدير الشأن والحديث هو أن الله أحد، ونظيره قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧] إلا أن هي جاءت على التأنيث؛ لأن في التفسير اسمًا مؤنثًا، وعلى هذا جاء: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ﴾ [الحج: ٤٦] أما إذا لم يكن في التفسير مؤنث لم يؤنث ضمير القصة، كقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ [طه: ٧٤] **والثالث**: قال الزجاج: تقدير هذه الآية أن هذا الذي سألتم عنه هو الله أحد.

المسألة الرابعة: في (أحد) وجهان: **أحدهما**: أنه بمعنى واحد، قال الخليل: يجوز أن يقال: أحد، اثنان، وأصل أحد وحد إلا أنه قلبت الواو همزة للتخفيف، وأكثر ما يفعلون هذا بالواو المضمومة والمكسورة كقولهم: وجوه وأجوه وسادة وأسادة. **والقول الثاني**: أن الواحد والأحد ليسا اسمين مترادفين، قال الأزهري: لا يوصف شيء بالأحدية غير الله تعالى، لا يقال: رجل أحد ولا درهم أحد، كما يقال: رجل واحد، أي فرد به، بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها شيء. ثم ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوهًا: **أحدها**: أن الواحد يدخل في الأحد والأحد لا يدخل فيه. **وثانيها**: أنك إذا قلت: فلان لا يقاومه واحد، جاز أن يقال: لكنه يقاومه اثنان، بخلاف الأحد، فإنك لو قلت: فلان لا يقاومه أحد، لا يجوز أن يقال: لكنه يقاومه اثنان. **وثالثها**: أن الواحد يستعمل في الإثبات والأحد في النفي، تقول في الإثبات: رأيت رجلاً واحدًا، وتقول في النفي: ما رأيت أحدًا. فيفيد العموم.

المسألة الخامسة: اختلف القراء في قوله: ﴿أَحَدٌ﴾ فقراءة العامة بالتنوين وتحريكه بالكسر هكذا (أحدنِ الله) وهو القياس الذي لا إشكال فيه، وذلك لأن التنوين من (أحد) ساكن ولام المعرفة من الله ساكنة، ولما التقى ساكنان حُرك الأول منهما بالكسر، وعن أبيَ عمرو: (أحد الله) بغير تنوين، وذلك أن النون شابهت حروف اللين في أنها تزاد كما يزدن، فلما شابهتها أجريت مجراها في أن حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذفت الألف والواو والياء لذلك، نحو غزا القوم ويغزو القوم، ويرمي القوم، ولهذا حذفت النون الساكنة في الفعل نحو: ﴿لَمْ يَكُ﴾ [الأنفال: ٥٣] ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ [هود: ١٧] فكذا ههنا حذفت في (أحد الله) لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف. وقد ذكرنا هذا مستقصى عند قوله: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وروي أيضًا عن أبي عمرو: (أحدْ الله) وقال: أدركت القراء يقرؤونها كذلك وصلاً على السكون. قال

أبو علي: قد تجري الفواصل في الإدراج مجراها في الوقف، وعلى هذا قال من قال: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ۝ رَبَّنَآ﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝ نَارٌ﴾ [القارعة: ١٠-١١] لما كان أكثر القراء فيما حكاه أبو عمرو على الوقف أجراه في الوصل مجراه في الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته في ألسنتهم، وقرأ الأعمش: (قل هو الله الواحد) فإن قيل: لماذا؟ قيل: أحد على النكرة، قال الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: حذف لام التعريف على نية إضمارها، والتقدير قل: هو الله الأحد. والثاني: أن المراد هو التنكير على سبيل التعظيم.

المسألة السادسة: اعلم أن قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألفاظ ثلاثة، وكل واحد منها إشارة إلى مقام من مقامات الطالبين: **فالمقام الأول:** مقام المقربين وهو أعلى مقامات السائرين إلى الله، وهؤلاء هم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي، فلا جرم ما رأوا موجودًا سوى الله؛ لأن الحق هو الذي لذاته يجب وجوده، وأما ما عداه فممكن لذاته والممكن لذاته إذا نظر إليه من حيث هو هو كان معدومًا، فهؤلاء لم يروا موجودًا سوى الحق سبحانه، وقوله: ﴿هُوَ﴾ إشارة مطلقة، والإشارة وإن كانت مطلقة إلا أن المشار إليه لما كان معينًا انصرف ذلك المطلق إلى ذلك المعين، فلا جرم كان قولنا: (هو) إشارة من هؤلاء المقربين إلى الحق سبحانه فلم يفتقروا في تلك الإشارة إلى مميز؛ لأن الافتقار إلى المميز إنما يحصل حين حصل هناك موجودان، وقد بينا أن هؤلاء ما شاهدوا بعيون عقولهم إلا الواحد فقط؛ فلهذا السبب كانت لفظة ﴿هُوَ﴾ كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء، **المقام الثاني:** وهو مقام أصحاب اليمين، وهو دون المقام الأول، وذلك لأن هؤلاء شاهدوا الحق موجودًا وشاهدوا الخلق أيضًا موجودًا، فحصلت كثرة في الموجودات، فلا جرم لم يكن هو كافيًا في الإشارة إلى الحق، بل لا بد هناك من مميز به يتميز الحق عن الخلق، فهؤلاء احتاجوا إلى أن يقرنوا لفظة هو، فقيل: لأجلهم (هو الله) لأن الله هو الموجود الذي يفتقر إليه ما عداه، ويستغني هو عن كل ما عداه. **والمقام الثالث:** وهو مقام أصحاب الشمال، وهو أخس المقامات وأدونها، وهم الذين يجوزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد وأن يكون الإله أكثر من واحد، فقرن لفظ الأحد بما تقدم ردًا على هؤلاء وإبطالاً لمقالاتهم فقيل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وههنا بحث آخر أشرف وأعلى مما ذكرناه: وهو أن صفات الله تعالى إما أن تكون إضافية وإما أن تكون سلبية، أما الإضافية فكقولنا: (عالم، قادر، مريد، خلاق) وأما السلبية فكقولنا: (ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعَرَض) والمخلوقات تدل أولاً على النوع الأول من الصفات وثانيًا على النوع الثاني منها، وقولنا: (الله) يدل على مجامع الصفات الإضافية، وقولنا: (أحد) يدل على مجامع الصفات السلبية، فكان قولنا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تامًا في إفادة العرفان الذي يليق بالعقول البشرية، وإنما قلنا: إن لفظ (الله) يدل على مجامع الصفات الإضافية، وذلك لأن الله هو الذي يستحق العبادة، واستحقاق العبادة ليس إلا لمن يكون مستبدًا بالإيجاد والإبداع، والاستبداد

بالإيجاد لا يحصل إلا لمن كان موصوفًا بالقدرة التامة والإرادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات، وهذه مجامع الصفات الإضافية.

وأما مجامع الصفات السلبية فهي الأحدية، وذلك لأن المراد من الأحدية كون تلك الحقيقة في نفسها مفردة منزهة عن أنحاء التركيب، وذلك لأن كل ماهية مركبة فهي مفتقرة إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره، فكل مركب فهو مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره فهو ممكن لذاته، فكل مركب فهو ممكن لذاته، فالإله الذي هو مبدأ لجميع الكائنات ممتنع أن يكون ممكنًا، فهو في نفسه فرد أحد، وإذا ثبتت الأحدية، وجب أن لا يكون متحيزًا لأن كل متحيز فإن يمينه مغاير ليساره، وكل ما كان كذلك فهو منقسم، فالأحد يستحيل أن يكون متحيزًا، وإذا لم يكن متحيزًا لم يكن في شيء من الأحياز والجهات، ويجب أن لا يكون حالاً في شيء؛ لأنه مع محله لا يكون أحدًا، ولا يكون محلاً لشيء؛ لأنه مع حاله لا يكون أحدًا، وإذا لم يكن حالاً ولا محلاً لم يكن متغيرًا ألبتة لأن التغير لا بد وأن يكون من صفة إلى صفة، وأيضًا إذا كان أحدًا وجب أن يكون واحدًا إذ لو فُرض موجودان واجبًا الوجود لاشتركا في الوجوب ولتمايزا في التعين وما به المشاركة غير ما به الممايزة، فكل واحد منهما مركب، فثبت أن كونه أحدًا يستلزم كونه واحدًا. **فإن قيل:** كيف يعقل كون الشيء أحدًا، فإن كل حقيقة توصف بالأحدية فهناك تلك الحقيقة من تلك الأحدية ومجموعهما فذاك ثالث ثلاث لا أحد؟ **الجواب:** أن الأحدية لازمة لتلك الحقيقة، فالمحكوم عليه بالأحدية هو تلك الحقيقة لا المجموع الحاصل منها ومن تلك الأحدية، فقد لاح بما ذكرنا أن قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كلام متضمن لجميع صفات الله تعالى من الإضافيات والسلوب، وتمام الكلام في هذا الباب مذكور في تفسير قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسير: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ وجهين الأول: أنه فعل بمعنى مفعول من صمد إليه، إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج، قال الشاعر:

أَلاَ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدِ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ(١)

وقال أيضًا:

عَلَوْتُهُ بِحُسَامِي ثُمَّ قُلْتُ لَهُ ... خُذْهَا حُذَيْفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ(٢)

---

(١) هذا البيت قصيدة من البحر الطويل لهند بنت معبد وهي شاعرة جاهلية، من بني أسد، كان جدها من ندماء النعمان، سكر النعمان ذات يوم فأمر بقتله ومعه عمرو بن مسعود فقتلا، فكان لها في ذلك شعر، كما أن لها أبياتًا في رثاه ابن عم لها يدعى خالد بن حبيب.

(٢) انظر سابقه.

والدليل على صحة هذا التفسير ما روى ابن عباس أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالُوا: مَا الصَّمَدُ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ»[1] وقال الليث: صمدت صمد هذا الأمر، أي قصدت قصده. **والقول الثاني:** أن الصمد هو الذي لا جوف له، ومنه يقال لسداد القارورة، الصماد، وشيء مصمد، أي صُلب ليس فيه رخاوة. وقال قتادة: وعلى هذا التفسير: الدال فيه مبدلة من التاء وهو المصمت، وقال بعض المتأخرين من أهل اللغة: الصمد هو الأملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ولا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء.

واعلم أنه قد استدل قوم من جهال المشبهة بهذه الآية في أنه تعالى جسم، وهذا باطل لأنا بينا أن كونه أحدًا ينافي جسمًا فمقدمة هذا الآية دالة على أنه لا يمكن أن يكون المراد من الصمد هذا المعنى، ولأن الصمد بهذا التفسير صفة الأجسام المتضاغطة، وتعالى الله عن ذلك، فإذن يجب أن يُحمل ذلك على مجازه، وذلك لأن الجسم الذي يكون كذلك يكون عديم الانفعال والتأثر عن الغير، وذلك إشارة إلى كونه سبحانه واجبًا لذاته ممتنع التغير في وجوده وبقائه وجميع صفاته، فهذا ما يتعلق بالبحث اللغوي في هذه الآية.

وأما المفسرون: فقد نقل عنهم وجوه، بعضها يليق بالوجه الأول، وهو كونه تعالى سيدًا مرجوعًا إليه في دفع الحاجات، وهو إشارة إلى الصفات الإضافية، وبعضها بالوجه الثاني وهو كونه تعالى واجب الوجود في ذاته وفي صفاته ممتنع التغير فيهما، وهو إشارة إلى الصفات السلبية وتارة يفسرون الصمد بما يكون جامعًا للوجهين.

أما النوع الأول فذكروا فيه وجوهًا: الأول: الصمد هو العالم بجميع المعلومات، لأن كونه سيدًا مرجوعًا إليه في قضاء الحاجات لا يتم إلا بذلك. **الثاني:** الصمد هو الحليم لأن كونه سيدًا يقتضي الحلم والكرم. **الثالث:** وهو قول ابن مسعود والضحاك الصمد هو السيد الذي قد انتهى سؤدده. **الرابع:** قال الأصم: الصمد هو الخالق للأشياء، وذلك لأن كونه سيدًا يقتضي ذلك. **الخامس:** قال السدي: الصمد هو المقصود في الرغائب، المستغاث به عند المصائب. **السادس:** قال الحسين بن الفضل البجلي: الصمد هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه. **السابع:** أنه السيد المعظم. **الثامن:** أنه الفرد الماجد لا يقضى في أمر دونه.

وأما النوع الثاني وهو الإشارة إلى الصفات السلبية فذكروا فيه وجوهًا: الأول: الصمد هو الغني، على ما قال: ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[الحديد: ٢٤] **الثاني:** الصمد الذي ليس فوقه أحد لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام: ١٨] ولا يخاف من فوقه، ولا يرجو من دونه، تُرفع الحوائج إليه. **الثالث:** قال قتادة: لا يأكل ولا يشرب ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[الأنعام: ١٤] **الرابع:** قال قتادة: الباقي بعد فناء

---

(١) **إسناده ضعيف:** رواه الطبراني في (الكبير) (١٠/ ٢٤٨) حديث رقم (١٠٦١٩) من طريق عبيد الله بن عياش وموسى بن يزيد الحرانيان، قالا حدثنا جويبر بن الضحاك بن مزاحم الهلالي قال. . . فذكره ضمن حديث طويل، وأورده الهيثمي في (المجمع) (٧/ ٣٠٣) وقال: رواه الطبراني في حديث طويل، وفي إسناده جويبر وهو متروك.

خلقه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] **الخامس**:قال الحسن البصري: الذي لم يزل ولا يزال، ولا يجوز عليه الزوال، كان ولا مكان، ولا أين ولا أوان، ولا عرش ولا كرسي، ولا جني ولا إنسي، وهو الآن كما كان. **السادس**:قال يمان وأبو مالك: الذي لا ينام ولا يسهو. **الثامن**:قال ابن كيسان: هو الذي لا يوصف بصفة أحد. **التاسع**:قال مقاتل بن حبان: هو الذي لا عيب فيه. **العاشر**:قال الربيع بن أنس: هو الذي لا تغتريه الآفات. **الحادي عشر**:قال سعيد بن جبير: إنه الكامل في جميع صفاته، وفي جميع أفعاله. **الثاني عشر**:قال جعفر الصادق: إنه الذي يغلب ولا يُغلب. **الثالث عشر**:قال أبو هريرة: إنه المستغني عن كل أحد. **الرابع عشر**:قال أبو بكر الوراق: إنه الذي أيس الخلائق من الاطلاع على كيفيته. **الخامس عشر**:هو الذي لا تدركه الأبصار. **السادس عشر**:قال أبو العالية ومحمد القرظي: هو الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء إلا سيورث، ولا شيء يولد إلا وسيموت. **السابع عشر**:قال ابن عباس: إنه الكبير الذي ليس فوقه أحد. **الثامن عشر**:أنه المنزه عن قبول النقصانات والزيادات، وعن أن يكون موردًا للتغيرات والتبدلات، وعن إحاطة الأزمنة والأمكنة والآنات والجهات.

وأما الوجه الثالث:وهو أن يُحمل لفظ الصمد على الكل فهو محتمل، لأنه بحسب دلالته على الوجوب الذاتي يدل على جميع السلوب، وبحسب دلالته على كونه مبدأ للكل يدل على جميع النعوت الإلهية.

المسألة الثانية: قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله، وإذا كان الصمد مفسرًا بالمصمود إليه في الحوائج، أو بما لا يقبل التغير في ذاته، لزم أن لا يكون في الوجود موجود هكذا سوى الله تعالى، فهذه الآية تدل على أنه لا إله سوى الواحد، فقوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إشارة إلى كونه واحدًا، بمعنى أنه ليس في ذاته تركيب ولا تأليف بوجه من الوجوه، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ إشارة إلى كونه واحدًا، بمعنى نفي الشركاء والأنداد والأضداد. **وبقي في الآية سؤالان**:

السؤال الأول: لم جاء ﴿أَحَدٌ﴾ منكرًا، وجاء ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ معرفًا؟ **الجواب**: الغالب على أكثر أوهام الخلق أن كل موجود محسوس، وثبت أن كل محسوس فهو منقسم، فإذًا ما لا يكون منقسمًا لا يكون خاطرًا ببال أكثر الخلق، وأما الصمد فهو الذي يكون مصمودًا إليه في الحوائج، وهذا كان معلومًا للعرب بل لأكثر الخلق، على ما قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وإذا كانت الأحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق، وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق، لا جرم جاء لفظ (أحد) على سبيل التنكير ولفظ (الصمد) على سبيل التعريف.

السؤال الثاني: ما الفائدة في تكرير لفظة (الله) في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؟ **الجواب**: لو لم تكرر هذه اللفظة لوجب في لفظ أحد وصمد أن يردا، إما نكرتين أو معرفتين، وقد

بينا أن ذلك غير جائز، فلا جرم كررت هذه اللفظة حتى يذكر لفظ (أحد) منكرًا ولفظ (الصمد) معرفًا.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾

فيه سؤالات:

السؤال الأول: لمَ قدَّم قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ على قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ مع أن في الشاهد يكون أولاً مولودًا، ثم يكون والدًا؟ **الجواب:** إنما وقعت البداءة بأنه لم يلد لأنهم ادعوا أن له ولدًا، وذلك لأن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله. وقالت اليهود عزير ابن الله. وقالت النصارى المسيح ابن الله. ولم يدع أحد أن له والدًا فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ثم أشار إلى الحجة فقال: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ كأنه قيل: الدليل على امتناع الولدية اتفاقنا على أنه ما كان ولدًا لغيره.

السؤال الثاني: لماذا اقتصر على ذكر الماضي فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ولم يقل: لن يلد؟ **الجواب:** إنما اقتصر على ذلك لأنه ورد جوابًا عن قولهم (ولد الله) والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢] فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم وهم إنما قالوا ذلك في الماضي، لا جرم وردت الآية على وفق قولهم.

السؤال الثالث: لمَ قال ههنا: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ وقال في سورة بني إسرائيل: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١]؟ **الجواب:** أن الولد يكون على وجهين: **أحدهما:** أن يتولد منه مثله، وهذا هو الولد الحقيقي. **والثاني:** أن لا يكون متولدًا منه ولكنه يتخذه ولدًا ويسميه هذا الاسم، وإن لم يكن ولدًا له في الحقيقة، والنصارى فريقان: منهم من قال: عيسى ولد الله حقيقة، ومنهم من قال: إن الله اتخذه ولدًا تشريفًا له، كما اتخذ إبراهيم خليلاً تشريفًا له، فقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيه إشارة إلى نفي الوالد في الحقيقة، وقوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ إشارة إلى نفي القسم الثاني، ولهذا قال: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١] لأن الإنسان قد يتخذ ولدًا ليكون ناصرًا ومعينًا له على الأمر المطلوب، ولذلك قال في سورة أخرى: ﴿قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [يونس: ٦٨] وإشارة إلى ما ذكرنا أن اتخاذ الولد إنما يكون عند الحاجة.

السؤال الرابع: نفي كونه تعالى والدًا ومولودًا، هل يمكن أن يعلم بالسمع أم لا، وإن كان لا يمكن ذلك فما الفائدة في ذكره ههنا؟ **الجواب:** نفي كونه تعالى والدًا مستفاد من العلم بأنه تعالى ليس بجسم ولا متبعض ولا منقسم، ونفي كونه تعالى مولودًا مستفاد من العلم بأنه تعالى قديم، والعلم بكل واحد من هذين الأصلين متقدم على العلم بالنبوة والقرآن، فلا يمكن أن يكونا مستفادين من الدلائل السمعية. بقي أن يقال: فلما لم يكن استفادتهما من السمع، فما الفائدة في ذكرهما في هذه السورة؟ قلنا: قد بينا أن المراد من كونه أحدًا كونه سبحانه في ذاته وماهيته

منزهًا عن جميع أنحاء التراكيب، وكونه تعالى صمدًا معناه كونه واجبًا لذاته ممتنع التغير في ذاته وجميع صفاته، وإذا كان كذلك فالأحدية والصمدية يوجبان نفي الولدية والمولودية، فلما ذكر السبب الموجب لانتفاء الوالدية والمولودية، لا جزم ذكر هذين الحكمين، فالمقصود من ذكرهما تنبيه الله تعالى على الدلالة العقلية القاطعة على انتفائهما.

السؤال الخامس: هل في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فائدة أزيد من نفي الولدية ونفي المولودية؟ **قلنا:** فيه فوائد كثيرة، وذلك لأن قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إشارة إلى كونه تعالى في ذاته وماهيته منزهًا عن التركيب، وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ إشارة إلى نفي الأضداد والأنداد والشركاء والأمثال، وهذان المقامان الشريفان مما حصل الاتفاق فيهما بين أرباب الملل والأديان وبين الفلاسفة، إلا أن مِن بعد هذا الموضع حصل الاختلاف بين أرباب الملل وبين الفلاسفة، فإن الفلاسفة قالوا: إنه يتولد عن واجب الوجود عقل، وعن العقل عقل آخر ونفس وفلك، وهكذا على هذا الترتيب حتى ينتهي إلى العقل الذي هو مدبر ما تحت كرة القمر، فعلى هذا القول يكون واجب الوجود قد ولد العقل الأول الذي هو تحته، ويكون العقل الذي هو مدبر لعالمنا هذا كالمولود من العقول التي فوقه، فالحق سبحانه وتعالى نفى الوالدية أولاً، كأنه قيل: إنه لم يلد العقول والنفوس، ثم قال: والشيء الذي هو مدبر أجسادكم وأرواحكم وعالمكم هذا ليس مولودًا من شيء آخر، فلا والد ولا مولود ولا مؤثر إلا الواحد الذي هو الحق سبحانه.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

فيه سؤالان:

السؤال الأول: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه، فما باله ورد مقدمًا في أفصح الكلام؟ **والجواب:** هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الله، واللفظ الدال على هذا المعنى هو هذا الظرف، وتقديم الأهم أَوْلى؛ فلهذا السبب كان هذا الظرف مستحقًّا للتقديم.

السؤال الثاني: كيف القراءة في هذه الآية؟ **الجواب:** قرئ: (كفوًا) بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء، والأصل هو الضم ثم يخفف مثل طُنُب وطُنْب وعُنُق وعُنْق، وقال أبو عبيدة: يقال كفو وكفء وكفاء، كله بمعنى واحد وهو المثل.

وللمفسرين فيه أقاويل: أحدها: قال كعب وعطاء: لم يكن له مثل ولا عديل، ومنه المكافأة في الجزاء لأنه يعطيه ما يساوي ما أعطاه. **وثانيها:** قال مجاهد: لم يكن (له) صاحبة، كأنه سبحانه وتعالى قال: لم يكن أحد كفوًا له فيصاهره، ردًّا على من حكى الله عنه قوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] فتفسير هذه الآية كالتأكيد لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ **وثالثها وهو التحقيق:** أنه تعالى لما بيّن أنه هو المصمود إليه في قضاء الحوائج ونفي الوسائط من البين بقوله: ﴿لَمْ

يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ﴾ على ما بيناه، فحينئذٍ ختم السورة بأن شيئًا من الموجودات يمتنع أن يكون مساويًا له في شيء من صفات الجلال والعظمة، أما الوجود فلا مساواة فيه لأن وجوده من مقتضيات حقيقته فإن حقيقته غير قابلة للعدم من حيث هي هي، وأما سائر الحقائق، فإنها قابلة للعدم، وأما العلم فلا مساواة فيه لأن علمه ليس بضروري ولا باستدلالي ولا مستفاد من الحس ولا من الرؤية ولا يكون في معرض الغلط والزلل، وعلوم المحدثات كذلك، وأما القدرة فلا مساواة فيها وكذا الرحمة والجود والعدل والفضل والإحسان.

واعلم أن هذه السورة أربع آيات، وفي ترتيبها أنواع من الفوائد:

الفائدة الأولى: أن أول السورة يدل على أنه سبحانه واحد، والصمد على أنه كريم رحيم لأنه لا يصمد إليه حتى يكون محسنًا و﴿لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ﴾ على أنه غني على الإطلاق ومنزه عن التغيرات فلا يبخل بشيء أصلاً، ولا يكون جوده لأجل جر نفع أو دفع ضر، بل بمحض الإحسان وقوله: ﴿وَلَـمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَـدٌۢ﴾ إشارة إلى نفي ما لا يجوز عليه من الصفات.

الفائدة الثانية: نفى الله تعالى عن ذاته أنواع الكثرة بقوله: ﴿أَحَـدٌ﴾ ونفى النقص والمغلوبية بلفظ الصمد، ونفى المعلولية والعلية ﴿لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ﴾، ونفى الأضداد والأنداد بقوله: ﴿وَلَـمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَـدٌۢ﴾.

الفائدة الثالثة: قوله: ﴿أَحَـدٌ﴾ يبطل مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة، والنصارى في التثليث، والصابئين في الأفلاك والنجوم، والآية الثانية تبطل مذهب من أثبت خالقًا سوى الله لأنه لو وُجد خالق آخر لما كان الحق مصمودًا إليه في طلب جميع الحاجات، والثالثة تبطل مذهب اليهود في عزير، والنصارى في المسيح، والمشركين في أن الملائكة بنات الله، والآية الرابعة تبطل مذهب المشركين حيث جعلوا الأصنام أكفاء له وشركاء.

الفائدة الرابعة: أن هذه السورة في حق الله مثل سورة الكوثر في حق الرسول، لكن الطعن في حق الرسول كان بسبب أنهم قالوا: (إنه أبتر لا ولد له) وههنا الطعن بسبب أنهم أثبتوا لله ولدًا، وذلك لأن عدم الولد في حق الإنسان عيب ووجود الولد عيب في حق الله تعالى، فلهذا السبب قال ههنا: ﴿قُلْ﴾ حتى تكون ذابًا عني، وفي سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ﴾ أنا أقول ذلك الكلام حتى أكون أنا ذابًا عنك والله سبحانه وتعالى أعلم.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَبْلَ الْخَوْضِ فِي التَّفْسِيرِ لَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيمِ فَصْلَيْنِ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْعَارِفِينَ فَسَّرَ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ عَلَى وَجْهٍ عَجِيبٍ فَقَالَ: إِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا شَرَحَ أَمْرَ الْإِلَٰهِيَّةِ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، ذَكَرَ هَٰذِهِ السُّورَةَ عَقِيبَهَا فِي شَرْحِ مَرَاتِبِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ فَقَالَ أَوَّلًا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾ [الفلق: ١] وَذَٰلِكَ لِأَنَّ ظُلُمَاتِ الْعَدَمِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي فَلَقَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ بِنُورِ التَّكْوِينِ وَالْإِيجَادِ وَالْإِبْدَاعِ، فَلِهَٰذَا قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝﴾ [الفلق: ١] ثُمَّ قَالَ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝﴾ [الفلق: ٢] وَالْوَجْهُ فِيهِ أَنَّ عَالَمَ الْمُمْكِنَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ: عَالَمُ الْأَمْرِ وَعَالَمُ الْخَلْقِ، عَلَى مَا قَالَ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وَعَالَمُ الْأَمْرِ كُلُّهُ خَيْرَاتٌ مَحْضَةٌ بَرِيئَةٌ عَنِ الشُّرُورِ وَالْآفَاتِ، أَمَّا عَالَمُ الْخَلْقِ وَهُوَ عَالَمُ الْأَجْسَامِ وَالْجُسْمَانِيَّاتِ، فَالشَّرُّ لَا يَحْصُلُ إِلَّا فِيهِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ عَالَمُ الْأَجْسَامِ وَالْجُسْمَانِيَّاتِ بِعَالَمِ الْخَلْقِ لِأَنَّ الْخَلْقَ هُوَ التَّقْدِيرُ، وَالْمِقْدَارُ مِنْ لَوَاحِقِ الْجِسْمِ، فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَٰلِكَ لَا جَرَمَ قَالَ: أَعُوذُ بِالرَّبِّ الَّذِي فَلَقَ ظُلُمَاتِ بَحْرِ الْعَدَمِ بِنُورِ الْإِيجَادِ وَالْإِبْدَاعِ مِنَ الشُّرُورِ الْوَاقِعَةِ فِي عَالَمِ الْخَلْقِ وَهُوَ عَالَمُ الْأَجْسَامِ وَالْجُسْمَانِيَّاتِ، ثُمَّ مِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ الْأَجْسَامَ إِمَّا أَثِيرِيَّةٌ أَوْ عُنْصُرِيَّةٌ وَالْأَجْسَامُ الْأَثِيرِيَّةُ خَيْرَاتٌ؛ لِأَنَّهَا بَرِيئَةٌ عَنِ الِاخْتِلَالِ وَالْفُطُورِ، عَلَى مَا قَالَ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝﴾ [الملك: ٣] وَأَمَّا الْعُنْصُرِيَّاتُ فَهِيَ إِمَّا جَمَادٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ، أَمَّا الْجَمَادَاتُ فَهِيَ خَالِيَةٌ عَنْ جَمِيعِ الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةِ، فَالظُّلْمَةُ فِيهَا خَالِصَةٌ وَالْأَنْوَارُ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ زَائِلَةٌ، وَهِيَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝﴾ [الفلق: ٣] وَأَمَّا النَّبَاتُ فَالْقُوَّةُ الْعَادِيَّةُ النَّبَاتِيَّةُ هِيَ الَّتِي تَزِيدُ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْعُمْقِ مَعًا، فَهَٰذِهِ النَّبَاتِيَّةُ كَأَنَّهَا تَنْفُثُ فِي الْعُقَدِ الثَّلَاثَةِ، وَأَمَّا الْحَيَوَانُ فَالْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةُ هِيَ الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ وَالْحَوَاسُّ الْبَاطِنِيَّةُ وَالشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ، وَكُلُّهَا تَمْنَعُ الرُّوحَ الْإِنْسَانِيَّةَ عَنِ الِانْصِبَابِ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ، وَالِاشْتِغَالِ بِقُدْسِ جَلَالِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ [الفلق: ٥] ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ السُّفْلِيَّاتِ بَعْدَ هَٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ سِوَى النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَهِيَ الْمُسْتَعِيذَةُ، فَلَا تَكُونُ مُسْتَعَاذًا مِنْهَا، فَلَا جَرَمَ قَطَعَ هَٰذِهِ السُّورَةَ وَذَكَرَ بَعْدَهَا فِي سُورَةِ النَّاسِ مَرَاتِبَ دَرَجَاتِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي التَّرَقِّي، وَذَٰلِكَ لِأَنَّهَا بِأَصْلِ فِطْرَتِهَا مُسْتَعِدَّةٌ لأن تنتقش بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتِهِ إِلَّا أَنَّهَا تَكُونُ أَوَّلَ الْأَمْرِ خَالِيَةً عَنْ هَٰذِهِ الْمَعَارِفِ بِالْكُلِّيَّةِ، ثُمَّ إِنَّهُ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ يَحْصُلُ فِيهَا عُلُومٌ أَوَّلِيَّةٌ بَدِيهِيَّةٌ يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ بِهَا إِلَى اسْتِعْلَامِ الْمَجْهُولَاتِ الْفِكْرِيَّةِ، ثُمَّ فِي آخِرِ الْأَمْرِ تِلْكَ الْمَجْهُولَاتِ الْفِكْرِيَّةِ مِنَ

الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ، فقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ [الناس: ١] إِشَارَةٌ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْ مَرَاتِبِ النفس الإنسانية وَهِيَ حَالُ كَوْنِهَا خَالِيَةً مِنْ جَمِيعِ الْعُلُوم الْبَدِيهِيَّةِ وَالْكَسْبِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّفسَ فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ تَحْتَاجُ إِلَى مُرَبٍّ يُرَبِّيهَا وَيُزَيِّنُهَا بِتِلْكَ الْمَعَارِفِ الْبَدِيهِيَّةِ، ثُمَّ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ عِنْدَ حُصُولِ هَذِهِ الْعُلُومِ الْبَدِيهِيَّةِ يَحْصُلُ لَهَا مَلَكَةٌ مِنَ الانْتِقَالِ مِنْهَا إِلَى اسْتِعْلَامِ الْعُلُومِ الْفِكْرِيَّةِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ②﴾ [الناس: ٢] ثُمَّ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ وَهِيَ عِنْدَ خُرُوجِ تِلْكَ الْعُلُومِ الْفِكْرِيَّةِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ يَحْصُلُ الْكَمَالُ التَّامُّ لِلنَّفْسِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③﴾ [الناس: ٣] فَكَأَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ يُسَمِّي نَفْسَهُ بِحَسَبِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمَا يَلِيقُ بِتِلْكَ الْمَرْتَبَةِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ④﴾ [الناس: ٤] وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْقُوَّةُ الْوَهْمِيَّةُ، وَالسَّبَبُ فِي إِطْلَاقِ اسْمِ الْخَنَّاسِ عَلَى الْوَهْمِ أَنَّ الْعَقْلَ وَالْوَهْمَ قَدْ يَتَسَاعَدَانِ عَلَى تَسْلِيمِ بَعْضِ الْمُقَدِّمَاتِ، ثُمَّ إِذَا آلَ الْأَمْرُ إِلَى النَّتِيجَةِ فَالْعَقْلُ يُسَاعِدُ عَلَى النَّتِيجَةِ، وَالْوَهْمُ يَخْنَسُ، وَيَرْجِعُ وَيَمْتَنِعُ عَنْ تَسْلِيمِ النَّتِيجَةِ فَلِهَذَا السَّبَبِ يُسَمَّى الْوَهْمُ بِالْخَنَّاسِ، ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ ضَرَرَ هَذَا الْخَنَّاسِ عَظِيمٌ عَلَى الْعَقْلِ، وَأَنَّهُ قَلَّمَا يَنْفَكُّ أَحَدٌ عَنْهُ، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَيَّنَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَرَاتِبَ الْأَرْوَاحِ الْبَشَرِيَّةِ وَنَبَّهَ عَلَى عَدُوِّهَا، وَنَبَّهَ عَلَى مَا بِهِ يَقَعُ الامْتِيَازُ بَيْنَ الْعَقْلِ وَبَيْنَ الْوَهْمِ، وَهُنَاكَ آخِرُ دَرَجَاتِ مَرَاتِبِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَلَا جَرَمَ وَقَعَ خَتْمُ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ وُجُوهًا: أَحَدُهَا: رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَاهُ وَقَالَ: إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ يَكِيدُكَ. فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ السُّورَتَيْنِ. وَثَانِيهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُمَا عَلَيْهِ لِيَكُونَا رُقْيَةً مِنَ الْعَيْنِ. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا: تَعَالَوْا نَتَجَوَّعْ فَنَعِينُ مُحَمَّدًا فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَتَوْهُ وَقَالُوا مَا أَشَدَّ عَضُدَكَ وَأَقْوَى ظَهْرَكَ وَأَنْضَرَ وَجْهَكَ!! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُعَوِّذَتَيْنِ. وَثَالِثُهَا: -وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ- أَنَّ لَبِيدَ بْنَ أَعْصَمَ الْيَهُودِيَّ سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ فِي إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً وَفِي وَتَرٍ دَسَّهُ فِي بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا ذِرْوَانُ؛ فَمَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَنَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ لِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ بِمَوْضِعِ السِّحْرِ فَأَرْسَلَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطَلْحَةَ وَجَاءَا بِهِ، وَقَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ: حِلَّ عُقْدَةً، وَاقْرَأْ آيَةً. فَفَعَلَ، وَكَانَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَكَانَ يَجِدُ بَعْضَ الْخِفَّةِ وَالرَّاحَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ بِأَسْرِهِمْ، قَالَ الْقَاضِي: هَذِهِ الرِّوَايَةُ بَاطِلَةٌ، وَكَيْفَ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِصِحَّتِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وَقَالَ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] وَلِأَنَّ تَجْوِيزَهُ يُفْضِي إِلَى الْقَدْحِ فِي النُّبُوَّةِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ صَحَّ ذَلِكَ لَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الضَّرَرِ لِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلَقَدَرُوا عَلَى تَحْصِيلِ الْمُلْكِ الْعَظِيمِ لِأَنْفُسِهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ بَاطِلٌ، وَلِأَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يُعَيِّرُونَهُ بِأَنَّهُ مَسْحُورٌ، فَلَوْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ لَكَانَ الْكُفَّارُ صَادِقِينَ فِي تِلْكَ الدَّعْوَةِ، وَلَحَصَلَ فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ الْعَيْبُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ.

قَالَ الأَصْحَابُ: هَذِهِ الْقِصَّةُ قَدْ صَحَّتْ عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ النَّقْلِ، وَالْوُجُوهُ الْمَذْكُورَةُ قَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَمَّا قَوْلُهُ: (الْكُفَّارُ كَانُوا يَعِيبُونَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ مَسْحُورٌ، فَلَوْ وَقَعَ ذَلِكَ لَكَانَ الْكُفَّارُ صَادِقِينَ فِي ذَلِكَ الْقَوْلِ) فَجَوَابُهُ: أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يُرِيدُونَ بِكَوْنِهِ مَسْحُورًا أَنَّهُ مَجْنُونٌ أُزِيلَ عَقْلُهُ بِوَاسِطَةِ السِّحْرِ؛ فَلِذَلِكَ تَرَكَ دِينَهُمْ، فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مَسْحُورًا بِأَلَمٍ يَجِدُهُ فِي بَدَنِهِ فَذَلِكَ مِمَّا لاَ يُنْكِرُهُ أَحَدٌ، وَبِالْجُمْلَةِ فَاللَّهُ تَعَالَى مَا كَانَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ لاَ شَيْطَانًا وَلاَ إِنْسِيًّا وَلاَ جِنِّيًّا يُؤْذِيهِ فِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ وَنُبُوَّتِهِ، فَأَمَّا فِي الإِضْرَارِ بِبَدَنِهِ فَلاَ يَبْعُدُ، وَتَمَامُ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ولنرجع إلى التفسير.

سورة الإخلاص

مكِّيَّةٌ في قول ابن مسعود والحسنِ وعطاءٍ وعكرمةَ وجابر. ومدنيةٌ في أحد قولي ابن عباس وقتادةَ والضَّحَّاك والسُّدِّي[1]. وهي أربعُ آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: الواحدُ الوِترُ، الذي لا شبيهَ له، ولا نظيرَ ولا صاحبة، ولا ولدَ ولا شريك. وأصل «أَحَدٌ»: وَحَدٌ، قُلِبت الواو همزة. ومنه قولُ النابغة:

بِذي الجَليلِ عَلَى مُسْتَأنِسٍ وَحَدِ[2]

وقد تقدَّم في سورة البقرة الفرقُ بين واحِد وأَحَدٍ، وفي كتاب «الأَسْنَى في شرح أسماء الله الحسنى»[3] أيضاً مُسْتَوفًى. والحمدُ لله.

و«أَحَدٌ» مرفوع، على معنى: هو أَحَدٌ. وقيل: المعنى: قل: الأمرُ والشأن اللهُ أَحَد. وقيل: «أَحَد» بدلٌ من قوله: «الله»[4].

وقرأ جماعة: «أَحَدُ اللهُ» بلا تنوين[5]، طلباً للخِفَّة، وفراراً من التقاء الساكنين،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٦٩ ، وزاد المسير ٩/ ٢٦٤ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٣١ ، وهذا عجز البيت، وصدره: كأن رحلي وقد زال النهار بنا. وذو الجَليل: واد قرب مكة. معجم البلدان ٢/ ١٥٨ . والمستأنِس هو الناظر بعينيه.

(٣) ص ١٦٤ و١٩٥ - ١٩٦ .

(٤) ذكر هذا الوجه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٦ .

(٥) ذكر ابن مجاهد في السبعة ص ٧٠١ أنها قراءة أبي عمرو في رواية هارون عنه، وهي غير المشهورة عنه.

ومنه قولُ الشاعر:

ولا ذاكِـرَ الـلَّـهَ إلَّا قَـلِـيـلا[1]

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: الذي يُصْمَد إليه في الحاجات. كذا رَوَى الضَّحاك عن ابن عباس، قال: الذي يُصْمَد إليه في الحاجات[2]، كما قال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣]. قال أهل اللغة: الصَّمد: السَّيد الذي يُصْمد إليه في النوازل والحوائج[3]. قال:

أَلَا بَكَّر النـاعِـي بِخَيـرِ بَـنـي أَسَـدْ بعمرِو بن مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ[4]

وقال قوم: الصَّمَدُ: الدائم الباقي، الذي لم يَزَل ولا يزال[5].

وقيل: تفسيره ما بعده: «لَمْ يلِدْ ولم يُوْلَدْ». قال أُبَيُّ بنُ كَعْب: الصَّمَدُ: الذي لا يلِدُ ولا يُولَد؛ لأنه ليس شيء يولد[6] إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا يُورث[7].

وقال عليٌّ وابنُ عباس أيضاً وأبو وائل شقِيقُ بنُ سَلَمةَ وسفيان: الصَّمَد: هو السَّيِّد الذي قد انتهى سُؤدَدُه في أنواع الشَّرف والسُّؤدَد[8]، ومنه قول الشاعر:

---

(١) سلف ٣/ ١٥، وصدره: فألفيته غير مُسْتَعْتِب.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٢٥، والنكت والعيون ٦/ ٣٧١، وزاد المسير ٩/ ٢٦٧.

(٣) الصحاح (صمد).

(٤) أورده برواية المصنف أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣١٦ ونسبه للأسدي، وابن السكيت في إصلاح المنطق ص٥٨، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٦ ولم ينسباه. وذكره برواية: بخيري، بدل: بخير، الطبري ٢٤/ ٧٣٧، والزجاج في معاني القرآن ٥/ ٣٧٨، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧١ ولم ينسبوه، والبغدادي في الخزانة ١١/ ٢٦٩ ونسبه لبنت معبد بن نضلة.

(٥) أورده الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧١ ونسبه للحسن.

(٦) لفظة: يولد، ليست في (م).

(٧) سيأتي تخريجه قريباً عند ذكر المصنف له مطولاً.

(٨) أخرجه عن ابن عباس وأبي وائل الطبري ٢٤/ ٧٣٥، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٨) و(٩٩). وقول سفيان في النكت والعيون ٦/ ٣٧١.

عَلَوْتُهُ بِحُسامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ خُذْهَا حُذَيفَ فأنتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ[١]

وقال أبو هريرة: إنه المستغني عن كلِّ أحد[٢]، والمحتاجُ إليه كلُّ أحد.

وقال السدِّيُّ: إنه المقصودُ في الرغائب، والمستعانُ به في المصائب.

وقال الحسين بن الفضل: إنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وقال مقاتل: إنه الكاملُ الذي لا عيبَ فيه[٣]، ومنه قول الزِّبرِقان:

سِيروا جميعاً بِنِصفِ الليلِ واعتمِدُوا ولا رَهِينَةَ إلَّا سَيِّدٌ صَمَدُ[٤]

وقال الحسن وعكرمة والضحاك وابن جُبير: الصَّمَد: المُصْمَتُ الذي لا جَوْف له[٥]، قال الشاعر:

شِهابُ حُرُوبٍ لا تَزالُ جِيادُه عَوابِسَ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُصَمَّدا[٦]

قلت: قد أتينا على هذه الأقوال مُبيَّنةً في الصَّمَد، في كتاب «الأَسنَى» وأنَّ الصحيح منها ما شهد له الاشتقاق، وهو القول الأوّل، ذكره الخَطَّابي.

وقد أسقط مِن هذه السورة مَن أبعده الله وأخزاه، وجَعَل النار مَقامه ومثواه، وقرأ: «اللهُ الواحدُ الصَّمَدُ» في الصلاة، والناس يستمعون، فأَسْقَطَ: «قُلْ هو»، وزعم أنه ليس من القرآن. وغيَّر لفظَ «أَحَدٍ»، وادَّعى أنَّ هذا هو الصواب، والذي عليه

(١) أورده أبو علي القالي في أماليه ٢/ ٢٨٨ ، والجوهري في الصحاح (صمد)، وابن فارس في مجمل اللغة ٢/ ٥٤١ ، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧١ ولم ينسبوه.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٧٢ ، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٨١ .

(٣) قول السُّدِّي والحسين بن الفضل ومقاتل في النكت والعيون ٦/ ٣٧٢ ، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٨١ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٧١ وفيه: ساروا، بدل: سيروا. وألّا، بدل: ولا. والسيد الصمد، بدل: سيد صمد. وأورد الشطر الثاني براوية المصنف أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣١٦ ، والطبري ٢٤/ ٧٣٧ .

(٥) أخرج قولهم الطبري ٢٤/ ٧٣٢ . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٦ : وفي هذا التفسير نظر؛ لأن الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى.

(٦) أورده الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧١ ، والشَّكيم جمع شكيمة: وهو الحديدة المعترضة في فم الفرس. القاموس (شكم).

الناسُ هو الباطل والمحال، فأبطل معنى الآية؛ لأن أهلَ التفسير قالوا: نزلت الآية جواباً لأهل الشِّرك لمَّا قالوا لرسول الله ﷺ: صِفْ لَنا رَبَّك، أمِن ذهب هو أم مِن نحاس أم مِن صُفْر؟ فقال الله عزَّ وجلَّ ردًّا عليهم: «قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ»[١]. ففي «هُوَ» دلالةٌ على موضع الردِّ، ومكانِ الجواب، فإذا سقط بَطَلَ معنى الآية، وصحَّ الافتراء على الله عزَّ وجلَّ، والتكذيبِ لرسوله ﷺ[٢].

وروى الترمذيُّ عن أُبيِّ بن كعب أنَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انْسُبْ لنا ربَّك، فأنزل الله عز وجل: «قل هُوَ الله أحد . الله الصمد». والصَّمَد: الذي لم يلد ولم يُولَد؛ لأنه ليس شيءٌ يُولَد إلَّا سيموت، وليس شيءٌ يموت إلا سيورَث، وإنَّ الله تعالى لا يموت ولا يورث. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٣] قال: لم يكن له شبيهٌ ولا عِدْل، وليس كمثله شيء[٤].

ورُويَ عن أبي العالية أنَّ النبيَّ ﷺ ذكر آلهتهم فقالوا: انْسُب لنا رَبَّك. قال: فأتاه جبريل بهذه السورة «قُلْ هُوَ الله أحد»، فذكره نحوه، ولم يذكر فيه عن أُبيِّ بن كعب، وهذا أصحُّ. قاله الترمذيّ[٥].

قلت: ففي هذا الحديث إثباتُ لفظ «قل هو الله أحد» وتفسيرُ الصَّمَد، وقد تقدَّم. وعن عكرمةَ نحوه. وقال ابن عباس: «لَمْ يَلِدْ» كما وَلَدَتْ مَرْيَم، ولم يُولد كما وُلِدَ عيسى وعُزَيرٌ. وهو ردٌّ على النصارى، وعلى مَن قال: عُزَيرٌ ابن الله.

«ولم يكن له كفواً أحد» أي: لم يكن له مِثْلاً أحد. وفيه تقديمٌ وتأخير، تقديره: ولم يكن له كُفُواً أحد[٦]، فقدَّم خبر كان على اسمها، لِينساقَ أواخرُ الآي على نظم واحد.

---

(١) سلف ١/ ١٣٣ .

(٢) ذكر المصنف هذا الكلام في سورة البقرة ١/ ١٢٨ و١٣٣ .

(٣) وقع في (ظ): كفؤاً، بالهمز. وسنذكر قريباً الأوجه فيها وصاحب كل وجه.

(٤) سنن الترمذي (٣٣٦٤)، وأخرجه أحمد أيضاً (٢١٢١٩) مختصراً، وفي إسنادهما أبو سعد محمد بن مُيَسَّر الصاغاني، وأبو جعفر الرازي وهو عيسى بن عبد الله بن ماهان، وهما ضعيفان. كما في التقريب.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٦٥) وفيه أيضاً أبو جعفر الرازي وهو ضعيف كما بينا.

(٦) كذا في النسخ، والصواب أن يقول: تقديره: ولم يكن له أحدٌ كفواً. وينظر تفسير البغوي ٤/ ٥٤٥ .

وقُرِئَ: «كُفُواً» بضمِّ الفاء وسكونها[(١)]. وقد تقدَّم في «البقرة»[(٢)] أنَّ كلَّ اسم على ثلاثة أحرف أوّلُه مضموم، فإنه يجوز في عينه الضمُّ والإسكان؛ إلَّا قولَه تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥] لِعِلَّة تقدَّمت. وقرأ حفص: «كُفُواً» مضمومَ الفاء غيرَ مهموز. وكلُّها لغاتٌ فصيحة.

القولُ في الأحاديث الواردة في فضل هذه السورة، وفيه ثلاث مسائل:

الأولى: ثبت في «صحيح» البخاريِّ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: «قُلْ هو الله أحد» يردِّدها، فلمَّا أصبح جاء إلى النبيِّ ﷺ، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يَتَقالُّها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنَّها لتعدل ثُلُثَ القُرْآن»[(٣)].

وعنه قال: قال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «أيعجِز أحدُكم أن يقرأ ثُلُث القرآن في ليلة» فشَقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أيُّنا يُطِيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «اللهُ الواحدُ الصَّمد ثُلُث القرآن»[(٤)]. خرَّجه مسلم من حديث أبي الدرداء ﷺ بمعناه[(٥)].

وخرَّج عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احْشِدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلثَ القُرْآن». فحشدَ مَنْ حَشَد، ثم خرج نبيُّ الله ﷺ فقرأ: «قُلْ هُوَ الله أحد» ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبراً جاءه من السماء، فذاكَ الذي أَدخله. ثم خرج فقال: «إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثُلُث القرآن، أَلَا إنَّها تَعْدِل ثُلُثَ القرآن»[(٦)].

---

(١) قرأ حفص: «كُفُواً» بضم الفاء وفتح الواو من غير همز، وسيذكرها المصنف قريباً. وقرأ حمزة بإسكان الفاء مع الهمز في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً مفتوحة اتباعاً للخط. وقرأ الباقون بضم الفاء مع الهمزة. التيسير ص ٢٢٦ ، وينظر السبعة ص ٧٠١ - ٧٠٢ .

(٢) ٢/ ١٨٠ .

(٣) صحيح البخاري (٥٠١٣)، وهو عند أحمد (١١٣٠٦). وقوله: يتقالُّها: أصله يتقاللها، أي: يعتقد أنها قليلة، والمراد استقلال العمل لا التنقيص. فتح الباري ٩/ ٦٠ .

(٤) صحيح البخاري (٥٠١٥)، وهو عند أحمد (١١٠٥٣).

(٥) صحيح مسلم (٨١١): (٢٥٩)، وهو عند أحمد (٢١٧٠٥).

(٦) صحيح مسلم (٨١٢): (٢٦١)، وهو عند أحمد (٩٥٣٥).

قال بعض العلماء: إنها عَدَلَتْ ثُلُثَ القرآن لأجل هذا الاسم، الذي هو «الصَّمَد»، فإنه لا يوجد في غيرها من السُّور. وكذلك «أَحَدٌ».

وقيل: إنَّ القرآن أُنزِل أثلاثاً، ثُلُثاً منه أحكام، وثُلُثاً منه وعدٌ ووعيد، وثلثاً منه أسماءٌ وصفات، وقد جَمَعتْ «قُل هو الله أحد» الثُّلُثَ[1]، وهو الأسماء والصِّفات. ودلَّ على هذا التأويل ما في «صحيح» مسلم من حديث أبي الدَّرداء ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله جلَّ وعزَّ جزَّأ القرآن ثلاثةَ أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن»[2]. وهذا نَصٌّ، وبهذا المعنى سُمِّيت سورةَ الإخلاص، والله أعلم.

الثانية: روى مسلم عن عائشةَ رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سَرِية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ «قل هو الله أحد»، فلمَّا رجعوا، ذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يصْنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرَّحمن، فأنا أُحِبُّ أَنْ أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ يُحِبُّه»[3].

وروى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: كان رجل من الأنصار يؤمُّهم في مسجد قُباء، وكان كلَّما افتتح سورة يقرؤها لهم في الصلاة فقرأ بها[4]، افتتح بـ«قل هو الله أحد»، حتى يفرُغ منها، ثم قرأ سورة[5] أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كلِّ ركعة؛ فكلَّمه أصحابه، فقالوا: إنَّك تقرأ بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأَ بسُورة أخرى، فإمَّا أن تقرأ بها، وإمَّا أن تدعَها وتقرأ بسورة أخرى؟ قال: ما أنا بتاركها، إنْ أحببتم أن أَؤُمَّكم بها فعلتُ، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يَرَوْنَه أفضلَهم،

---

(١) في النسخ عدا (ز): الأثلاث، والمثبت من (ز).

(٢) صحيح مسلم (٨١١): (٢٦٠)، وهو عند أحمد (٢٧٤٩٨).

(٣) صحيح (٨١٣)، وهو عند البخاري (٧٣٧٥).

(٤) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي ٨/ ٢١٢ - ٢١٣: الظاهر أن في قوله: يقرأ بها (كذا وقعت عنده) تكراراً فتفكَّر.

(٥) في (م) وسنن الترمذي: ثم يقرأ بسورة.

وكرهوا أن يَؤُمَّهم غيره؛ فلمَّا أتاهم النبيُّ ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان ما يمنُعك ما يأمرك به[١] أصحابك؟ وما يحملُك أن تقرأ هذه السورة في كلِّ ركعة»؟ فقال: يا رسول الله، إنِّي أحبُّها، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ حُبَّها أدْخَلَكَ الجَنَّة». قال: حديث حسنٌ غريب صحيح[٢].

قال ابن العربيِّ[٣]: فكان هذا دليلاً على أنه يجوز تَكرار سورة في كلِّ ركعة. وقد رأيتُ على باب الأسباط[٤] فيما يَقْرُب منه، إماماً ـ من جملة الثمانيةِ والعشرينَ إماماً ـ كان يصلِّي فيه التراويح في رمضان بالأتراك، فيقرأ في كلِّ ركعة «الحمد للّه»، و«قل هو الله أحد» حتى يتمَّ التراويح، تخفيفاً عليه، ورغبةً في فضلها، وليس من السنة خَتْمُ القرآن في رمضان.

قلت: هذا نصُّ قولِ مالك، قال مالك: وليس خَتْمُ القرآن في المساجد بسنة[٥].

الثالثة: روى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: أقبلتُ مع النبيِّ ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: «قل هو الله أحد»، فقال رسول الله ﷺ: «وجبت». قلت: وما وجبت؟ قال: «الجنة». قال: هذا حديث حسن صحيح[٦].

قال الترمذيُّ: حدَّثنا محمد بنُ مرزوق البصريُّ، قال: حدَّثنا حاتم بنُ ميمون أبو سهلٍ، عن ثابتٍ البُنانيِّ، عن أنس بن مالك، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن قرأ كلَّ يوم مئتي مرَّةٍ: «قل هو الله أحد»، مُحيَ عنه ذنوبُ خمسينَ سنةً، إلَّا أن يكون عليه دَين».

---

(١) في (م) وسنن الترمذي: مما يأمر به.

(٢) سنن الترمذي (٢٩٠١)، وأورده البخاري تعليقاً قبل حديث (٧٧٥).

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٨٣ .

(٤) باب الأسباط أحد أبواب المسجد الأقصى. ينظر معجم البلدان ٥/ ١٧٠ .

(٥) المدونة ١/ ٢٢٣ .

(٦) سنن الترمذي (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة ﷺ لا من حديث أنس كما ذكر المصنف، وأخرجه من حديث أبي هريرة أيضاً أحمد (٨٠١١)، والنسائي ٢/ ١٧١ . ووقع في سنن الترمذي وعارضة الأحوذي ١١/ ٢٥ : حديث حسن غريب، بدل: حديث حسن صحيح. وفي تحفة الأحوذي ٨/ ٢٠٩ ، وتفسير ابن كثير ٨/ ٥٢٣ نقلاً عن الترمذي: حسن صحيح غريب.

وبهذا الإسناد عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه، ثم قرأ: قُل هُوَ اللهُ أحد، مئةَ مرَّةٍ، فإذا كان يومُ القيامة يقول له الربُّ: يا عبدي، ادخلْ على يمينك الجنة». قال: هذا حديث غريبٌ من حديث ثابت عن أنس[١].

وفي مسند أبي محمدٍ الدارميِّ، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ: «قل هو الله أحد» خمسين مرَّةً، غفرتُ له ذنوب خمسينَ سنة»[٢].

قال: وحدَّثنا عبد الله بن يزيد قال: حدَّثنا حَيْوة قال: أخبرني أبو عَقيل: أنه سمع سعيدَ بنَ المسيَّب يقول: إنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «مَن قرأ: «قل هو الله أحد» عَشْرَ مرَّاتٍ بُني له قصرٌ في الجنة. ومَن قرأها عشرين مرَّةً، بُني له بها قصران في الجنة. ومَن قرأها ثلاثين مرَّةً، بُني له بها ثلاثةُ قصور في الجنة». فقال عمر بن الخطاب: واللهِ يا رسولَ الله إذًا لَنُكْثِرَنَّ قصورنا، فقال رسول الله ﷺ: «الله أوسع من ذلك». قال أبو محمد: أبو عقيل زُهْرة بن مَعْبَد، وزعموا أنه كان من الأبدال[٣].

وذكر أبو نُعيم الحافظ من حديث أبي العلاء يزيد بنِ عبد الله بنِ الشِّخِّير، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ: «قل هو الله أحد» في مرضه الذي يموت فيه، لم يُفتَن في قَبره. وأَمِن من ضغطةِ القبر. وحملته الملائكة يومَ القيامة بأكُفِّها، حتى تُجيزَه من الصراط إلى الجنة». قال: هذا حديث غريب من حديث يزيد، تفرَّد به نصر بن حمادٍ البَجَليّ[٤].

---

(١) أخرج هذين الحديثين الترمذي (٢٨٩٨)، وهما ضعيفان لضعف حاتم بن ميمون، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، وقال ابن عدي: يروي عن ثابت ما لا يتابع عليه. ينظر ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٨ - ٤٢٩ ، وتقريب التهذيب.

(٢) مسند الدارمي (٣٤٣٨)، قال ابن كثير في تفسيره ٨/ ٥٢٤ : إسناده ضعيف.

(٣) مسند الدارمي (٣٤٢٩) وهو مرسل.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٢١٣ دون قوله: هذا حديث غريب. . . ، وأخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط (٥٧٨١). قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٤٥ : رواه الطبراني في الأوسط، وقال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، وفيه نصر بن حماد الورَّاق، وهو متروك. اهـ. ونصر بن حماد هذا قال عنه مسلم: ذاهب الحديث، وقال ابن معين: كذاب. ميزان الاعتدال ٤/ ٢٥٠ - ٢٥١ .

وذكر أبو بكر أحمدُ بن عليٍّ بن ثابتٍ الحافظُ، عن عيسى بنِ أبي فاطمةَ الرازي قال: سمعت مالك بن أنس يقول: إذا نُقِس بالناقوس اشتدَّ غضب الرحمن، فتنزلُ الملائكة، فيأخذون بأقطار الأرض، فلا يزالون يقرؤون: «قل هو الله أحد» حتى يسكُنَ غضبُه جلَّ وعزَّ[١].

وخَرَّج من حديث محمد خالدِ الجَندَيِّ، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن دخل يومَ الجمعة المسجد، فصلَّى أربع رَكَعات، يقرأ في كلِّ ركعة بفاتحة الكتاب و«قل هو الله أحد» خمسينَ مرَّةً، فذلك مئتا مرَّةٍ في أربع رَكَعات، لم يَمُتْ حتى يَرى منزله في الجنة أو يُرَى له»[٢].

وقال أبو عُمر مولى جرير بن عبد الله البَجَليِّ، عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ: «قل هو الله أحد» حين يدخل منزله، نَفَت الفَقْر عن أهل ذلك المنزلِ وعن الجيران»[٣].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ: «قل هو الله أحد» مرَّةً، بُورِك عليه، وَمن قرأها مرَّتين، بُورِك عليه وعلى أهله، ومَن قرأها ثلاثَ مرات، بُورِك عليه وعلى جميع جيرانه، ومَن قرأها اثنتي عَشْرة بنى الله له اثني عَشَرَ قصراً في الجنة، وتقول الحفظة: انطلقوا بنا ننظر إلى قصر أخينا، فإن قرأها مئة مرَّةٍ، كفَّر الله عنه ذنوب خمسينَ سنة، ما خلا الدِّماءَ والأموال، فإن قرأها أربعَ مئةِ مرَّةٍ، كفَّر الله عنه

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤١٣ وعزاه للطبراني من طريق أبي بكر البرذعي عن أبي زرعة وأبي حاتم عن عيسى بن أبي فاطمة، به. ولم نقف عليه عند الطبراني.

(٢) أخرجه الدارقطني في غرائب مالك من طريق عبد الله بن وصيف الجندي عن علي بن زياد اللخمي عن محمد بن خالد الجندي، به. وقال: لا يصح هذا، وعبد الله بن وصيف مجهول. وذكره الخطيب في الرواة عن مالك من غير هذا الوجه، وقال: غريب جداً، لا أعلم له وجهاً إلا هذا. لسان الميزان ٣/ ٣٧٤ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤١٩) من طريق أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير مرفوعاً. قال ابن كثير عند تفسير هذه السورة: إسناده ضعيف. اهـ. ووقع في (ز) و(ظ) و(ي): أبو عمرو مولى جرير.

ذنوب مئة سنةٍ، فإن قرأها ألف مرَّةٍ، لم يمت حتى يَرَى مكانه في الجنة أو يُرى له»[(١)].

وعن سهل بن سعدٍ الساعديِّ قال: شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الفَقْر وضيقَ المعيشة؛ فقال له رسول الله ﷺ: «إذا دخلتَ البيت، فسلِّمْ إن كان فيه أحد، وإن لم يكن به أحد فسلم عليَّ، واقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ مرَّةً واحدة». ففعل الرجل، فأدرَّ الله عليه الرِّزق، حتى أفاض على جيرانه[(٢)].

وقال أنس: كنَّا مع رسول الله ﷺ بتَبُوكَ، فطلعتْ الشَّمس بيضاءَ لها شعاعٌ ونور، لم أَرَها فيما مضى طلعتْ قطُّ كذلك، فأتى جبريلُ، فقال له رسول الله ﷺ: «يا جبريلُ، مالي أرى الشَّمس طلعتْ بيضاءَ بشعاع لم أرها طلعتْ كذلك فيما مضى قطُّ؟» فقال: «ذلك لأن معاويةَ بنَ معاويةَ اللَّيثي توفي بالمدينة اليوم، فبعث الله سبعين ألفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عليه». قال: «ومِمَّ ذلك؟» قال: «كان يكثر قراءة: «قل هو الله أحد» آناء الليل وآناءَ النهار، وفي ممشاه وقيامِه وقعودِه، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض، فتصلِّي عليه؟». قال: «نعم». فصلَّى عليه، ثم رجع[(٣)]. ذكره الثعلبيُّ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٥/ ١٩٠ بنحوه، وفيه أبان بن أبي عيَّاش، وهو متروك، كما قال ابن حجر في التقريب.

(٢) أورده الرازي في تفسيره ٣٢/ ١٧٤ وفيه: وإن لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك، بدل... فسلم عليَّ. ولم نقف عليه في مصادر التخريج.

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤٢٦٧)، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٤٥ ، وابن عبد البر في الاستيعاب بهامش الإصابة ١٠/ ١٥٣ - ١٥٤ . وفيه العلاء بن زيد، وقيل: ابن زَيْدَل، قال ابن حجر في الإصابة ٩/ ٢٣٨ - ٢٣٩ بعد أن أورده من طريقه: والعلاء أبو محمد هو ابن زيد الثقفي واهٍ. وقال الذهبي في الميزان ٣/ ٩٩ : تالف، قال ابن المديني: كان يضع الحديث، وقال ابن حبان: روى عن أنس نسخة موضوعة، منها: الصلاة بتبوك صلاة الغائب على معاوية بن معاوية الليثي. اهـ. ووقع في مسند أبي يعلى: فبعث الله ألف ملك، بدل: فبعث الله سبعين ألف ملك.

سُورَةُ الإخلاص

مختلفٌ فيها، وآيُها أربَعٌ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضَّميرُ للشَّأنِ؛ كقولِك: هو زَيدٌ مُنطَلِقٌ، وارتفاعُه بالابتداءِ، وخبرُهُ الجُملَةُ، ولا حاجةَ إلى العائدِ لأنَّها هي هو.

أو: لِمَا سُئِلَ عنه؛ أي: الذي سَألْتُم عنه هو اللهُ، إذ رُوِيَ أنَّ قُرَيشًا قالوا: يا مُحَمَّدُ! صِفْ لنا ربَّك الذي تدعونا إليه، فنزلَتْ[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٨).

وروى الترمذي (٣٣٦٤) من طريق أبي جعفرٍ الرازيِّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العاليَة، عن أبيِّ بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انْسُب لنا ربَّك، فأنزل الله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾. ثم رواه الترمذي من طريق أبي جعفرٍ الرازيِّ، عن الربيع، عن أبي العالية، وقال: هذا أصح. قلنا: وكلاهما ضعيف لضعف الرازي.

وفي الباب عن جابر مثل حديث أبيٍّ، رواه الطبري (٢٤/ ٧٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (٥٦٨٧)، وإسناده ضعيف أيضاً لضعف مجالد بن سعيد.

وروى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٨) عن جابر، وفيه أن السائل أعرابي. وفي إسناده مجالد بن سعيد أيضاً.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠٢) عن ابن عباس دون سند، وفيه أن السائل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة.

و﴿أَحَدٌ﴾ بدلٌ، أو خبرٌ ثانٍ يدلُّ على مَجامعِ صِفاتِ الجَلالِ كما دلَّ اللهُ على جميعِ صفاتِ الكمالِ[1]، إذ الواحدُ الحَقيقيُّ ما يكونُ مُنزَّهَ الذَّاتِ عن أنحاءِ التَّركيبِ والتَّعدُّدِ وما يستلزمُ أحدَهُما كالجسميَّةِ والتَّحيُّزِ، والمشاركةِ في الحقيقةِ وخواصِّها، كوُجوبِ الوُجودِ والقدرةِ الذَّاتيَّةِ والحكمَةِ التَّامَّةِ المُقتضيَةِ للأُلوهيَّةِ.

وقُرِئَ: (هو الله) بلا (قل)[2]، مع الاتِّفاقِ على أنَّه لا بُدَّ مِنْهُ في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ولا يجوزُ في (تبَّت)، ولعلَّ ذاك لأنَّ سورةَ الكافرينَ مشاقَّةُ الرَّسولِ ومُوادعَتُه لهم، و(تبت) معاتبَةُ عَمِّهِ؛ فلا يناسِبُ أن يكونَ منه، وأمَّا هذا فتوحيدٌ يقولُ بهِ تارةً ويُؤمَرُ بأن يَدْعُوَ إليه أُخْرَى.

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: السَّيِّدُ المَصمودُ[3] إليه في الحوائجِ، مِن صَمَد: إذا قُصِدَ، وهو الموصوفُ به على الإطلاقِ؛ فإنَّه يَستغني عَن غيرِه مطلقًا، وكلُّ ما عَداهُ مُحتاجٌ إليه في جميعِ جِهَاتِه.

وتعريفُه لعلمِهم بصَمديَّتِه بخلافِ أَحَديَّتِه.

وتكريرُ لفظِ (الله) للإشعارِ بأنَّ مَن لَمْ يَتَّصِف به لم يَستَحِقَّ الأُلوهيَّةَ.

وإخلاءُ الجملَةِ عَن العاطفِ لأنَّها كالنَّتيجةِ للأولى أو الدَّليلِ عليها.

(٣) ـ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنَّه لم يُجانِسْ، ولم يَفْتَقِر إلى ما يُعِينُه أو يَخلفُ عنه؛ لامتناعِ الحاجةِ والفناءِ عليه.

ولعلَّ الاقتصارَ على لفظِ الماضي لوُرودِهِ ردًّا على مَن قال: الملائكةُ بَناتُ اللهِ،

---

(١) في نسخة الفاروقي: «الإكرام».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٨٣)، و«الكشاف» (٩/ ٧٢٠) عن عبد الله وأبيّ.

(٣) في نسخة الفاروقي والخيالي: «المقصود».

أو: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، أو ليطابِقَ قولَه: ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ وذلك لأنَّه لا يفتقِرُ إلى شيءٍ ولا يسبِقُه عدمٌ.

(٤) ـ ﴿ولَمْ يَكُنْ لهُ كُفُوًا أحدٌ﴾؛ أي: ولم يَكُن أحدٌ يُكافِئُه؛ أي[1]: يماثِلُه مِن صاحبَةٍ وغيرِها، وكان أصلُهُ أَنْ يُؤخَّرَ الظَّرفُ لأنَّه صِلَتُه[2]، لكنْ لَمَّا كانَ المقصودُ نفيَ المُكافأةِ عَن ذاتِه تعالى قُدِّمَ تقديمًا للأهمِّ.

ويجوزُ أن يكونَ حالًا مِن المُستكنِّ في ﴿كُفُوًا﴾، أو خبرًا ويكونُ ﴿كُفُوًا﴾ حالًا مِن ﴿أَحَدٌ﴾.

ولعلَّ ربطَ الجُمَلِ الثَّلاثِ بالعطفِ لأنَّ المُرادَ مِنْها نفيُ أقسامِ الأمثالِ[3]، فهي كجُمْلَةٍ واحدَةٍ منبِّهٍ[4] عليها بالجُمَلِ.

وقرأ حمزَةُ ويَعقوبُ ونافعٌ في روايةٍ: ﴿كُفْؤا﴾ بالتَّخفيفِ، وحفصٌ: ﴿كُفُوًا﴾ بالحركةِ وقلبِ الهمزةِ واوًا[5].

---

(١) في نسخة التفتازاني: «أو».

(٢) أي: صلة: ﴿كُفُوًا﴾.

(٣) قوله: «ولعل ربط الجمل...»؛ أي: وقوعَ الجمل الثلاث، وهي ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾ متعاطفة دون ما عداها من هذه السورة لأنها سيقت لمعنًى وغرض واحد وهو نفي المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجه من الوجوه، وهذه أقسامها لأن المماثل إمّا ولد أو والد أو نظير، فلتغاير الأقسام واجتماعِها في المقسم لزم العطف فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني. قاله الشهاب.

(٤) قوله: «منبه» اسم فاعل من التنبيه، وفي نسخة: «مبيِّنة» اسم فاعل من البيان، وعُدِّي بـ«على» لتضمنه معنى الدلالة، وفي بعضها: «مَبْنِيَّة» من البناء والأولى أولى. المصدر السابق، والنسخ الثلاث مذكورة في نسخة الفاروقي.

(٥) قرأ حفص بضم الفاء وفتح الواو من غير همز، وحمزة وخلف ويعقوب بإسكان الفاء مع الهمز، =

ولاشتمالِ هذه السُّورَةِ مع قِصَرِها على جميعِ المَعارِفِ الإلهيَّةِ والرَّدِّ على مَن ألحدَ فيها جاءَ في الحديثِ أنَّها تعدلُ ثلثَ القُرآنَ[1]؛ فإنَّ مَقاصِدَهُ مَحصورةٌ في بيانِ العَقائدِ والأحكامِ والقصصِ، ومَن عدلَها بكلِّهِ اعتبرَ المقصودَ بالذَّاتِ مِن ذلك.

وعن النَّبيِّ ﷺ أنه سَمِعَ رَجُلًا يقرَؤُها فقال: «وَجَبَتْ» قيلَ: يا رسولَ الله! وما وَجبَتْ؟ قال: «وجَبَتْ له الجنَّةُ»[2].

***

= والباقون بضم الفاء مع الهمز. انظر: «السبعة» (ص: ٧٠٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٦) و«النشر» (٢/ ٢١٦).

(١) رواه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٧)، والنسائي (٩٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(١١٢) سُورَةُ الإخلاص مكية وآياتها أربع

(ذكر سبب نزولها وفضلها)

عن أُبيّ بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : يا محمد انسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل هو الله أحدٌ ◌ الله الصمدُ ◌ لم يلد ولم يولدْ ◌ ولم يكن له كفواً أحدٌ ﴾[1] ، زاد ابن جرير والترمذي، قال: ﴿ الصمد ﴾ الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت. وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله عزَّ وجلَّ لا يموت ولا يورث ، ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء .

حديث آخر في فضلها : روى البخاري، عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك النبي ﷺ فقال : « سلوه لأي شيء يصنع ذلك » ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي ﷺ : « أخبروه أن الله تعالى يحبّه »[2] .

حديث آخر : قال البخاري في كتاب الصلاة ، عن أنَس رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ بـه ، افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أُخْرَى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة ، فكلمه أصحابه ، فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك، حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأُخْرَى، فقال : ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر ، فقال: يا فلان « ما يمنعك أن تفعل ما يأمركَ به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » ؟ قال: إني أحبها، قال: « حبك إياها أدخلك الجنة »[3]

حديث آخر : قال البخاري، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة » ؟ فشق ذلك عليهم ، وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال: « الله الواحد الصمد ثلث القرآن »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن جرير .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة .

(٤) أخرجه البخاري .

حديث آخر : قال أحمد، عن أُبيّ بن كعب قال، قال رسول الله ﷺ: « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن »(١)

حديث آخر : عن أبي الدرداء رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال : « فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فقل هو الله أحد ثلث القرآن »(٢) .

حديث آخر : عن عبدالله بن حبيب قال : أصابنا عطش وظلمة ، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال : « قُلْ » فسكت، قال : « قُلْ » ، قلت : ما أقول ؟ قال : « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي ، وحين تصبح ثلاثاً . تكفيك كل يوم مرتين »(٣)

حديث آخر : عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: « من قرأ قُل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة »، فقال عمر : إذاً نستكثر يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكثر وأطيب »(٤)

حديث آخر، في فضلها مع المعوذتين : عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ ، فابتدأته ، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله بم نجاة المؤمن ؟ قال : « يا عقبة أخرس لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » قال : ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني ، فأخذ بيدي فقال: « يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم » ؟ قال، قلت : بلى، جعلني الله فداك، قال : فأقرأني: ﴿ قل هو الله أحد – وقل أعوذ برب الفلق – وقل أعوذ برب الناس﴾، ثم قال: « يا عقبة لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن » قال : فما نسيتهن منذ قال لا تنسهن، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن، قال عقبة : ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده ، فقلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: « يا عقبة صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك »(٥)

حديث آخر : في الاستشفاء بهن، قال البخاري، عن عائشة، ان النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما ، وقرأ فيهما: ﴿ قل هو الله أحد﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات(٦)

---

(١) أخرجه أحمد .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي .

(٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

(٤) رواه أحمد والدارمي .

(٥) رواه أحمد والترمذي .

(٦) أخرجه البخاري وأهل السنن .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

قال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عزير بن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح بن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قل هو الله أحد﴾ يعني هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا شبيه ولا عديل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وقوله تعالى: ﴿الله الصمد﴾ يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، قال ابن عباس: هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، ليس له كفء وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار، وقال الأعمش ﴿الصمد﴾ السيد الذي قد انتهى سؤدده، وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن أيضاً ﴿الصمد﴾ الحي القيوم الذي لا زوال له، وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيراً له، وهو قوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ وهو تفسير جيد، وقال ابن مسعود والضحّاك والسدي: ﴿الصمد﴾ الذي لا جوف له، وقال مجاهد ﴿الصمد﴾ المصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب. وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد: وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عزَّ وجلَّ، هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك، وقوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، قال مجاهد: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ يعني لا صاحبة له، وهذا كما قال تعالى: ﴿بديع السماوات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء﴾ أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقدس وتنزه، قال تعالى: ﴿وقالوا: اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدًّا﴾، وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ۝ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾. وفي صحيح البخاري: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم»[1]. وفي الحديث القدسي: «كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد»[2].

[آخر تفسير سورة الإخلاص. ولله الحمد والمنة]

---

(١) أخرجه البخاري. (٢) أخرجه البخاري أيضاً.

تفسير سورة الإخلاص

وهى مكية .

ذكر سبب نزولها وفضيلتها (١)

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعد محمد بن مُيَسَّر الصاغانى ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب : أن المشركين قالوا للنبى ﷺ : يا محمد ، انسب لنا ربك ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٢) .

وكذا رواه الترمذى ، وابن جرير ، عن أحمد بن منيع - زاد ابن جرير : ومحمود بن خداش - عن أبى سعد محمد بن مُيَسَّر به (٣) - زاد ابن جرير والترمذى - قال : ﴿ الصَّمَدُ﴾ : الذى لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت ، وليس شىء يموت إلا سيورث ، وإن الله جل جلاله لا يموت ولا يورث ،﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾: ولم يكن له شبه (٤) ولا عدل ، وليس كمثله شىء.

ورواه ابن أبى حاتم ، من حديث أبى سعد (٥) محمد بن مُيَسَّر ، به . ثم رواه الترمذى عن عبد ابن حميد ، عن عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فذكره مرسلا ولم يذكر « أخبرنا » . ثم قال الترمذى : هذا أصح من حديث أبى سعد (٦) .

حديث آخر فى معناه : قال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا سُرَيج (٧) بن يونس ، حدثنا إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جابر : أن أعرابياً جاء إلى النبى ﷺ ، فقال: انسب لنا ربك . فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ،إلى آخرها . إسناده مقارب (٨) .

وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف ، عن سُرَيج (٩) فذكره (١٠) . وقد أرسله غير واحد من السلف .

وروى عُبيد بن إسحاق العطار ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾ .

---

(١) فى م ، أ : « وفضلها » .

(٢) المسند (٥/١٣٣) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٦٤) وتفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢١،٢٢٣) .

(٤) فى م ، أ : « له شبيه » . (٥) فى م ، أ : « سعيد » .

(٦) سنن الترمذى برقم (٣٣٦٥) .

(٧) فى أ : « شريح » . (٨) فى م : « إسناده متقارب » . (٩) فى أ : « شريح » .

(١٠) مسند أبى يعلى (٤/٣٨،٣٩) وتفسير الطبرى (٣٠/٢٢١) ، ومجالد ضعيف فى روايته عن الشعبى عن جابر .

قال الطبرانى : رواه الفريابى وغيره ، عن قيس ، عن أبى عاصم ، عن أبى وائل ، مرسلا [(١)].

ثم رَوَى الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفى ، عن الوازع بن نافع ، عن أبى سلمة، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل شىء نسبة ، ونسبة الله : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** [**اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾ » ، والصمد ليس بأجوف] [(٢)] [(٣)] .

حديث آخر فى فضلها : قال البخارى : حدثنا محمد ـ هو الذّهلىّ ـ حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو ، عن ابن أبى هلال : أن أبا الرجال مُحمد بن عبد الرحمن حَدَثه ، عن أمه عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن ـ وكانت فى حِجْر عائشة زوج النبى ﷺ ـ عن عائشة : أن النبى ﷺ بعث رجلاً على سَرِيَّة ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم ، فيختم بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ ، فقال : « سلوه : لأىّ شىء يصنع ذلك ؟ » . فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبى ﷺ : « أخبروه أن الله تعالى يحبه » .

هكذا رواه فى كتاب « التوحيد » [(٤)] . ومنهم من يسقط ذكر « محمد الذّهلى » . ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح . وقد رواه مسلم والنسائى أيضاً من حديث عبد الله بن وهب ،عن عمرو ابن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، به [(٥)] .

حديث آخر : قال البخارى فى كتاب الصلاة : « وقال عُبَيد الله [(٦)] ، عن ثابت ، عن أنس قال: كان رجل من الأنصار يَؤمَهم فى مسجد قُبَاء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به ، افتتح بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ حتى يَفرُغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك فى كل ركعة . فكلَّمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى ، فإما أن تقرأ بها ، وإما أن تدعها وتَقرأ بأخرى . فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت ، وإن كرهتم تركتكم . وكانوا يَرَونَ أنه من أفضلهم ، وكرهوا أن يَؤمهم غيره . فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : « يا فلان ، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ، وما حملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة ؟ » . قال : إنى أحبها . قال : « حُبك إياها أدخلك الجنة » [(٧)] .

هكذا رواه البخارى تعليقاً مجزوماً به . وقد رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه ، عن البخارى ، عن إسماعيل بن أبى أويس ، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى ، عن عُبَيد الله بن عمر ، فذكر بإسناده مثله سواء [(٨)] ، ثم قال الترمذى : غريب من حديث عبيد الله ، عن ثابت . قال : وروى

---

(١) ورواه الطيالسى عن قيس ، عن عاصم ، عن أبى وائل مرسلاً ،ورواه أبو الشيخ فى العظمة برقم (٨٩) .

(٢) زيادة من أ .

(٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤٢٣) « مجمع البحرين » من طريق عبد الرحمن بن نافع ، عن على بن ثابت ، عن الوازع ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة به ، وقال : « لايروى عن أبى هريرة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به عبد الرحمن » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٧٣٧٥) .

(٥) صحيح مسلم برقم (٨١٣) ، وسنن النسائى (٢/ ١٧٠) .

(٦) فى أ : « وقال عبد الله » .

(٧) صحيح البخارى برقم (٧٧٤) .

(٨) سنن الترمذى برقم (٢٩٠١) .

مُبارك بن فَضالة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رجلا قال : يا رسول الله ، إنى أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾ . قال : « إن حُبَّك إياها أدخلك الجنة » .

وهذا الذى علقه الترمذى قد رواه الإمام أحمد فى مسنده متصلاً ، فقال :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إنى أحب هذه السورة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ . فقال رسول الله ﷺ : « حبك [(١)] إياها أدخلك الجنة » [(٢)] .

حديث فى كونها تعدل ثلث القرآن: قال البخارى: حدثنا إسماعيل، حدثنى مالك، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعَة ، عن أبيه ، عن أبى سعيد . أن رجلاً سمع رَجُلاً يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ، يرددها ، فلما أصبح جاء إلى النبى ﷺ ، فذكر ذلك له ، وكأن الرجل يتقالّها ، فقال النبى [(٣)] ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » . زاد إسماعيل بن جعفر ، عن مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبى سعيد قال : أخبرنى أخى قتادة بن النعمان ، عن النبى ﷺ [(٤)] .

وقد رواه البخارى أيضا عن عبد الله بن يوسف ، والقَعْنَبِىّ . ورواه أبو داود عن القعنبى ، والنسائى عن قتيبة ، كلهم عن مالك ، به [(٥)] . وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائى من طريقين، عن إسماعيل بن جعفر ، عن مالك ، به [(٦)] .

حديث آخر : قال البخارى : حدثنا عُمَر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم والضحاك المَشْرِقىّ ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ » . فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يُطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : «الله الواحد الصمد ثلث القرآن » [(٧)] .

تفرد بإخراجه البخارى من حديث إبراهيم بن يزيد النَّخعى والضحاك بن شُرَحبيل الهمدانى المشرقى ، كلاهما عن أبى سعيد ، قال القَرَبرِىّ : سمعت أبا جعفر محمد بن أبى حاتم وراقُ أبى عبد الله قال : قال أبو عبد الله البخارى : عن إبراهيم مرسل ، وعن الضحاك مسند [(٨)] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لَهيعَة ، عن الحارث بن يزيد ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرى قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ ﴿ قُلْ هُوَ

---

(١) فى م : « إن حبّك » .

(٢) المسند (٣/ ١٤١) .

(٣) فى م : « فقال رسول الله » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٧٣٧٤) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠١٣، ٦٦٤٣) وسنن أبى داود برقم (١٤٦١) وسنن النسائى (٢/ ١٧١) .

(٦) سنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٢٩) وبرقم (١٠٥٣٦) .

(٧) صحيح البخارى برقم (٥٠١٥) .

(٨) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٩/ ٦٠) : « والمراد أن رواية إبراهيم النخعى عن أبى سعيد منقطعة ، ورواية الضحاك عنه متصلة »

اللهُ أحَد ﴾،فذكر ذلك للنبى ﷺ ،فقال:« والذى نفسى بيده ، لَتَعدلُ نصف القرآن ، أو ثلثه » (١) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا حُيَىّ بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلى ، عن عبد الله بن عمرو : أن أبا أيوب الأنصارى كان فى مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا : وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال : فإن ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أحَد** ﴾ ثلث القرآن . قال : فجاء النبى ﷺ وهو يسمع أبا أيوب ، فقال : « صدق أبو أيوب » (٢) .

حديث آخر : قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا يزيد بن كيسَان ، أخبرنى أبو حَازم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احشُدوا ، فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . فحشد من حشد ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقرأ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أحَد** ﴾. ثم دخل فقال بعضنا لبعض : قال رسول الله ﷺ : « فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . إنى لأرى هذا خبراً جاء من السماء ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقال : « إنى قلت : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن ».

وهكذا رواه مسلم فى صحيحه ، عن محمد بن بشار ، به (٣) . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب ، واسم أبى حازم سلمان .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن زائدة بن قُدَامة ، عن منصور ، عن هلال بن يَساف ، عن الربيع بن خُثَيم (٤) ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن امرأة من الأنصار ، عن أبى أيوب ، عن النبى ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ فإنه من قرأ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ . اللهُ الصَّمَد** ﴾ فى ليلة ، فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » .

هذا حديث تُسَاعىّ الإسناد للإمام أحمد. ورواه الترمذى والنسائى،كلاهما عن محمد بن بشار (٥) بندار ــ زاد الترمذى وقتيبة ــ كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدى ، به (٦) . فصار لهما عُشَاريا . وفى رواية الترمذى : « عن امرأة أبى أيوب ، عن أبى أيوب » ، به [وحسنه] (٧) . ثم قال : وفى الباب عن أبى الدرداء ، وأبى سعيد ، وقتادة بن النعمان ، وأبى هريرة ، وأنس ، وابن عمر ، وأبى مسعود . وهذا حديث حسن ، ولا نعلم أحداً رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية « زائدة » . وتابعه على روايته إسرائيل ، والفضيل بن عياض . وقد رَوَى شُعبةُ وغيرُ واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه .

---

(١) المسند (٣/ ١٥) .

(٢) المسند (٢/ ١٧٣) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٢٩٠٠) وصحيح مسلم برقم (٨١٢) .

(٤) فى أ : « بن خيثم » .

(٥) فى أ : « يسار » .

(٦) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٦) وسنن النسائى (٢/ ١٧٢) .

(٧) زيادة من م ، أ .

حديث آخر : قال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، عن حُصَين ، عن هلال بن يَسَاف ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ـ أو : رجل من الأنصار ـ قال : قال رسول الله ﷺ :« من قرأ بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ فكأنما قرأ بثلث القرآن » (١) .

ورواه النسائي في « اليوم والليلة » ، من حديث هُشَيم ، عن حُصَين ، عن ابن أبي ليلى ، به(٢) . ولم يقع في روايته : هلال بن يساف .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، عن سفيان ، عن أبي قيس (٣) ، عن عمرو بن ميمون ،عن أبي مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ تعدلُ ثلث القرآن » (٤) .

وهكذا رواه ابن ماجة ،عن على بن محمد الطَّنافسي ، عن وَكِيع ، به (٥) . ورواه النسائي في «اليوم والليلة » من طرق أخر ، عن عمرو بن ميمون ، مرفوعاً وموقوفاً (٦) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز ، حدثنا بُكَير بن أبي السَّميط (٧) ، حدثنا قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مَعْدَان بن أبي طلحة ، عن أبي الدّرداء ، أن رسول الله ﷺ قال : «أيعجزُ أحدُكم أن يَقرأ كلّ يوم ثلث القرآن ؟ » . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن أضعفُ من ذلك وأعجز . قال : « فإن الله جَزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ ثلث القرآن » .

ورواه مسلم والنسائي ، من حديث قتادة ، به (٨) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ـ ابن أخي ابن شهاب ـ عن عمه الزهري ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ـ هو ابن عوف ـ عن أمه ـ وهي : أم كلثوم بنت عقبة (٩) بن أبي مُعَيط ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ تَعدلُ ثُلُثَ القرآن » .

وكذا رواه النسائي في « اليوم والليلة » ، عن عمرو بن على ، عن أمية بن خالد ، به (١٠) . ثم رواه من طريق مالك ، عن الزهري ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ، قوله (١١) . ورواه النسائي أيضا في « اليوم والليلة » من حديث محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن الفُضَيل الأنصاري ، عن الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمن : أن نَفَراً من أصحاب محمد ﷺ حَدثوه عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) المسند (٥/ ١٤١) .
(٢) سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٥٢١) .
(٣) في م : « إسحاق » .
(٤) المسند (٤/ ١٢٢) .
(٥) سنن ابن ماجة برقم (٣٧٨٩) .
(٦) سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٥٢٩، ١٠٥٢٥، ١٠٥٢٨) .
(٧) في أ : « حدثنا بكر بن أبي السمط » .
(٨) المسند (١/ ٤٤٧) وصحيح مسلم برقم (٨١١) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٥٣٧) .
(٩) في م : « عتبة » .
(١٠) سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٥٣١) .
(١١) سنن النسائي الكبرى برقم (١٠٥٣٣) .

« ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تَعدلُ ثُلُثَ القرآن لمن صلى بها » [١] .

حديث آخر فى كون قراءتها توجب الجنة : قال الإمام مالك بن أنس ، عن عبيد الله بن عبد الرحمن ، عن عُبيد بن حُنَين قال : سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبى ﷺ ، فسمع رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ،فقال رسول الله ﷺ: « وَجَبَتْ ». قلت : وما وَجَبت ؟ قال: « الجنة » .

ورواه الترمذى والنسائى ، من حديث مالك [٢] . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث مالك .

وتقدم حديث : « حُبّك إياها أدخلك الجنة » .

حديث فى تكرار قراءتها : قال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا قَطن بن نُسير ، حدثنا عيسى ابن ميمون القرشى ،حدثنا يزيد الرقاشى،عن أنس قال :سمعت رسول الله [٣] ﷺ يقول:« أما يستطيع أحدكم أن يقرأ:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ثلاث مرات فى ليلة [٤]،فإنها تعدلُ ثلث القرآن ؟» [٥] .

هذا إسناد ضعيف ، وأجود منه حديث آخر ، قال عبد الله ابن الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن أبى بكر المُقَدمى ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن أسيدُ ابن أبى أسيد ، عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب ، عن أبيه قال : أصابنا طَش وظلمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلى لنا ، فخرج فأخذ بيدى ، فقال : « قل » . فسكت . قال : « قل » . قلت : ما أقول ؟ قال:«﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾ ،والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاثاً ،تكفك كل يوم مرتين» .

ورواه أبو داود والترمذى والنسائى ، من حديث ابن أبى ذئب ، به [٦] . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائى من طريق أخرى ، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر ، فذكره [ولفظه : « يكفك كل شىء »] [٧] [٨] .

حديث آخر فى ذلك : قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا ليث بن سعد ، حدثنى الخليل بن مرة ، عن الأزهر بن عبد الله ، عن تميم الدارى قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال : لا إله إلا الله واحداً أحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ، ولم يكن له كفوا أحدا ، عشر مرات ، كُتِب له أربعون ألف ألف حسنة » .

تفرد به أحمد[٩] ، والخليل بن مُرّة : ضعفه البخارى وغيره بمَرّة .

حديث آخر : قال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لَهِيعَة ، حدثنا زَبَّان بن

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٣٢) .

(٢) الموطأ (٢/٢٠٨) وسنن الترمذى برقم (٢٨٩٧) وسنن النسائى (٢/١٧١) .

(٣) فى م : « سمعت نبى الله » . (٤) فى أ : « فى كل ليلة » .

(٥) مسند أبى يعلى (٨/ ١٥٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٤٧) : « فيه عبيس ، وهو متروك » .

(٦) زوائد المسند (٥/ ٣١٢) وسنن أبى داود برقم (٥٠٨٢) وسنن الترمذى برقم (٣٥٧٥) وسنن النسائى (٨/ ٢٥٠) .

(٧) زيادة من م .

(٨) سنن النسائى (٨/ ٢٥١) .

(٩) المسند (٤/١٠٣) .

فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى ، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال :« من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ حتى يختمها ، عشر مرات ، بنى الله له قصراً فى الجنة » . فقال عمر : إذن نستكثر يا رسول الله . فقال ﷺ : « الله أكثر وأطيب » . تفرد به أحمد [١] .

ورواه أبو محمد الدارمى فى مسنده فقال : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا حيوة ، حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد ــ قال الدارمى : وكان من الأبدال ــ أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن نبى الله ﷺ قال : « من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عشر مرات ، بنى الله له قصراً فى الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين فى الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور فى الجنة ». فقال عمر بن الخطاب : إذن لتكثر قصورنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله أوسع من ذلك » [٢] . وهذا مرسل جيد .

حديث آخر : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا نصر بن على ، حدثنى نوح بن قيس ، أخبرنى محمد العطار ، أخبرتنى أم كثير الأنصارية ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال: « من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ خمسين مرة غُفرت له [٣] ذنوب خمسين سنة » [٤] . إسناده ضعيف .

حديث آخر : قال أبو يعلى : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا حاتم بن ميمون ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ فى يوم : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مائتى مرة ، كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » [٥] . إسناده ضعيف ، حاتم بن ميمون : ضعفه البخارى وغيره . ورواه الترمذى ، عن محمد بن مرزوق البصرى ، عن حاتم بن ميمون ، به . ولفظه : «من قرأ كل يوم ، مائتى مرة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، محى عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دَين » .

قال الترمذى : وبهذا الإسناد عن النبى ﷺ قال : « من أراد أن ينام على فراشه ، فنام على يمينه، ثم قرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب ، عز وجل : يا عبدى، ادخُل على يمينك الجنة » [٦] . ثم قال : غريب من حديث ثابت ، وقد رُوى من غير هذا الوجه، عنه .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حَبّان بن أغلب ، حدثنا أبى ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مائتى مرة ، حط الله عنه ذنوب مائتى سنة » [٧]. ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبى جعفر ، والأغلب بن

(١) المسند (٣/ ٤٣٧) .
(٢) سنن الدارمى برقم (٣٤٢٩) .
(٣) فى م ، أ : « غفر الله له » .
(٤) ورواه الدارمى فى السنن برقم (٣٤٣٨) : حدثنا نصر بن على بمثله سواء .
(٥) مسند أبى يعلى (٦/ ١٠٣) .
(٦) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٨) .
(٧) ورواه ابن الضريس فى فضائل القرآن برقم (٢٦٧) والخطيب فى تاريخ بغداد (٦/ ١٨٧) من طريق الحسن بن أبى جعفر ،عن ثابت به .

تميم، وهما متقاربان فى سوء الحفظ .

حديث آخر فى الدعاء بما تضمنته من الأسماء :قال النسائى عند تفسيرها : حدثنا عبد الرحمن بن خالد ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى مالك بن مِغْول ، حدثنا عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه : أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلى ، يدعو يقول : اللهم ، إنى أسألك بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . قال : « والذى نفسى بيده ، لقد سأله باسمه الأعظم ، الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » [(١)] .

وقد أخرجه بَقِيَّة أصحاب السنن من طُرُق ، عن مالك بن مِغْول ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، به[(٢)] . وقال الترمذى : حسن غريب .

حديث آخر فى قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة : قال الحافظ أبو يعلى [الموصلى] [(٣)] : حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا بشر بن منصور ، عن عمر بن نبهان[(٤)] ، عن أبى شداد ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من جاء بِهِنّ مع الإيمان دَخَل من أىّ أبواب الجنة شاء ، وزُوِّج من الحور العين حيث شاء : من عفا عن قاتله ، وأدى دينا خفيا ، وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ » . قال : فقال أبو بكر : أو إحداهن يا رسول الله ؟ قال: « أو إحداهن » [(٥)] .

حديث فى قراءتها عند دخول المنزل : قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكرى ، حدثنا محمد بن الفرج ، حدثنا محمد بن الزبرقان ، عن مروان بن سالم، عن أبى زُرْعَة بن [(٦)] عمرو بن جرير ، عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ حين يدخل منزله ، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » [(٧)]. إسناده ضعيف .

حديث فى الإكثار من قراءتها فى سائر الأحوال : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبى ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن العلاء بن[(٨)] محمد الثقفى قال : سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى

---

(١) سنن النسائى الكبرى كما فى تحفة الأشراف للمزى (٢/ ٩٠) .

(٢) سنن أبى داود برقم (١٤٩٣) وسنن الترمذى برقم (٣٤٧٥) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٥٧) .

(٣) زيادة من م .

(٤) فى م ، أ ، هـ : « عمر بن شيبان » .

(٥) مسند أبى يعلى (٣/ ٣٣٢) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٠٢) :« فيه عمر بن نبهان وهو متروك » .

(٦) فى م ، أ ، هـ : « عن » .

(٧) المعجم الكبير (٢/ ٣٤٠) .

(٨) كذا ترجمه البخارى فى التاريخ (٦/ ٥٠٧) ، وابن حبان فى المجروحين (٢/ ١٨١) ، وترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح (٦/ ٣٥٥)، والذهبى فى الميزان (٣/ ١٠٦) ، كذا : « العلاء بن يزيد ، أبو محمد الثقفى » وكأن هذا هو الراجح ، لكن أثبتنا الأول لكونه وقع فى النسخ هكذا ، وكذلك فى مسند أبى يعلى ، أما الدلائل فقد وقع فيه على الكنية فأثبتناه كما هو فيه .

بمثله ، فأتى جبريل النبى ﷺ فقال [١] : « يا جبريل ، مالى أرى الشمس طلعت اليوم [٢] بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ » . قال : إن ذلك معاوية بن معاوية الليثى ، مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه. قال: « وفيم ذلك ؟» قال : كان يكثر قراءة: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فى الليل وفى النهار ، وفى ممشاه وقيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه ؟ قال : « نعم » . فصلى عليه .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى [كتاب] [٣] « دلائل النبوة » من طريق يزيد بن هارون ، عن العلاء أبى [٤] محمد [٥] ـ وهو متهم بالوضع ـ فالله أعلم.

طريق أخرى : قال أبو يعلى : حدثنا محمد بن إبراهيم الشامى أبو عبد الله ، حدثنا عثمان بن الهيثم ـ مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندى ـ عن محمود أبى عبد الله [٦] ، عن عطاء بن أبى ميمونة ، عن أنس قال : نزل جبريل على النبى ﷺ فقال : مات معاوية بن معاوية الليثى ، فتحب أن تصلى عليه ؟ قال: « نعم » . فضرب بجناحه الأرض ، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت ، فرفع سريره فنظر إليه ، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة ، فى كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبى ﷺ : « يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟ » . قال بحبه :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، وقراءته إياها ذاهباً وجائياً قائماً [٧] وقاعداً ، وعلى كل حال [٨] .

ورواه البيهقى ، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن ، عن محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبى ميمونة ، عن أنس ، فذكره . وهذا هو الصواب [٩] ، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازى : «ليس بالمشهور » [١٠] . وقد روى هذا من طرق أخر ، تركناها [١١] اختصاراً ، وكلها ضعيفة .

حديث آخر فى فضلها مع المعوذتين : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معاذ بن رفاعة، حدثنى على بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله ﷺ ، فابتدأته فأخذتُ بيده ، فقلت : يا رسول الله ، بم نجاة المؤمن ؟ قال : « يا عقبة ، احْرُسْ لسانك وليسَعَك بيتُك ، وابْكِ على خطيئتك » . قال : ثم لقينى رسول الله ﷺ ، فابتدأنى فأخذ بيدى ، فقال : « يا عقبة بن عامر ، ألا أعلمك خير ثلاث سُوَر أنزلت فى التوراة ، والإنجيل ،

---

(١) فى م : « فقال لى » . (٢) فى م : « يومئذ » .
(٣) زيادة من م . (٤) فى أ : « العلاء بن محمد » .
(٥) مسند أبى يعلى (٧/ ٢٥٦) ودلائل النبوة (٥/ ٢٤٥) .
(٦) وقع فى أصل مسند أبى يعلى : « محمود بن عبد الله » ووقع هنا : « محمود أبى عبد الله » ـ كما ترى ـ والصواب : « محبوب ابن هلال » كما فى رواية البيهقى ، والله أعلم .
(٧) فى م : « وقائماً » .
(٨) مسند أبى يعلى (٧/ ٢٥٨) .
(٩) دلائل النبوة (٥/ ٢٤٦) ورواه ابن الضريس فى فضائل القرآن برقم (٢٧٢) ،من طريق محبوب بن هلال به، وساقه المؤلف فى البداية والنهاية من رواية البيهقى (٥/ ١٤) ، وقال : « منكر من هذا الوجه » .
(١٠) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٨/ ٣٨٩) .
(١١) فى م : « تركنا ذكرها » .

والزبور ، والقران العظيم ؟ » . قال: قلت : بلى ، جعلنى الله فداك . قال : فأقرأنى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ . ثم قال : « يا عقبة ، لا تَنْسَهُن ولا تَبُتْ ليلة حتى تقرأهن » . قال : فما نسيتهن منذ قال :« لا تنسهن » ، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة ، ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرنى بفواضل الأعمال . فقال :« يا عقبة، صِلْ من قطعك، وأعْطِ من حَرَمَك، وأعرض [١] عمن ظلمك » [٢] .

روى الترمذى بعضه فى « الزهد » ، من حديث عُبيد الله بن زحر ، عن على بن يزيد وقال : هذا حديث حسن [٣] . وقد رواه أحمد من طريق آخر :

حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن عياش ، عن أسيد بن عبد الرحمن الخَثْعَمى ، عن فرْوَة بن مجاهد اللخمى ، عن عقبة بن عامر ، عن النبى ﷺ ، فذكر مثله سواء . تفرد به أحمد [٤] .

حديث آخر فى الاستشفاء بهن : قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا المفضل ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كُل ليلة جمع [٥] كفيه ، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾. ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات .

وهكذا رواه أهل السنن ، من حديث عُقَيل ، به [٦] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ .

قد تقدم ذكر سبب نزولها . وقال عكرمة : لما قالت اليهود : نحن نعبد عُزيرَ ابن الله . وقالت النصارى : نحن نعبد المسيح ابن الله . وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر . وقالت المشركون : نحن نعبد الأوثان ــ أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ .

يعنى : هو الواحد الأحد ،الذى لا نظير له ولا وزير ،ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يُطلَق

(١) فى م : « واعف » .

(٢) المسند (٤/١٤٨) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٢٤٠٦) ، وفى إسناده عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد والقاسم كلهم ضعفاء ، قال ابن حبان فى عبيد الله بن زحر : « يروى الموضوعات عن الأثبات ، وإذا روى عن على بن يزيد أتى الطامات ، وإذا اجتمع فى إسناده خبر عبيد الله ، وعلى ابن يزيد ، والقاسم ــ أبو عبد الرحمن ــ لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم » .

(٤) المسند (٤/١٥٨) .

(٥) فى م : « ليلة جمعة » .

(٦) صحيح البخارى برقم (٥٠١٧) وسنن أبى داود برقم (٥٠٥٦) وسنن الترمذى برقم (٣٤٠٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٦٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٥) .

هذا اللفظ على أحد فى الإثبات إلا على الله ، عز وجل؛ لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله .

وقوله : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ، قال عكرمة ، عن ابن عباس : يعنى الذى يصمد الخلائق إليه فى حوائجهم ومسائلهم.

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : هو السيد الذى قد كمل فى سؤدده ، والشريف الذى قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته [١] . وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته لا تنبغى إلا له ، ليس له كفء ، وليس كمثله شىء، سبحان الله الواحد القهار .

وقال الأعمش ، عن شقيق [٢] ، عن أبى وائل : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : السيد الذى قد انتهى سؤدده ، ورواه عاصم ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود ، مثله .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : السيد . وقال الحسن ، وقتادة : هو الباقى بعد خلقه . وقال الحسن أيضا : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : الحى القيوم الذى لا زوال له . وقال عكرمة : ﴿الصَّمَدُ﴾: الذى لم يخرج منه شىء ولا يطعم .

وقال الربيع بن أنس : هو الذى لم يلد ولم يولد . كأنه جعل ما بعده تفسيراً له ، وهو قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ، وهو تفسير جيد . وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير ، عن أبى بن كعب فى ذلك ، وهو صريح فيه .

وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعبد الله بن بُريدة ، وعكرمة أيضا ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن أبى رباح ، وعطية العوفى، والضحاك ، والسدى: ﴿الصَّمَدُ﴾ : الذى لا جوف له .

قال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : المصمت الذى لا جوف له .

وقال الشعبى : هو الذى لا يأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب .

وقال عبد الله بن بُرَيدة [٣] أيضاً : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : نور يتلألأ .

روى ذلك كلَّه وحكاه : ابن أبى حاتم ، والبيهقى والطبرانى ، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده ، وقال :

حدثنى العباس بن أبى طالب ، حدثنا محمد بن عمرو بن رومى ، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش ، حدثنى صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال ـ لا أعلم إلا قد رفعه ـ قال : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : الذى لا جوف له .

وهذا غريب جداً ، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة .

(١) فى م : « فى حكمه » . (٢) فى أ : « سفيان » . (٣) فى أ : « يزيد » .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى كتاب السنة له ، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال فى تفسير « الصمد » : وكل هذه صحيحة ، وهى صفات ربنا ، عز وجل ، وهو الذى يُصمَد إليه فى الحوائج ، وهو الذى قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذى لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقى بعد خلقه . وقال البيهقى نحو ذلك [أيضاً] (١) (٢) .

وقوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ أى : ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة .

قال مجاهد : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ﴾ يعنى : لا صاحبة له .

وهذا كما قال تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٠١] أى : هو مالك كل شىء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه من نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ، تعالى وتقدس وتنزه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٨٨ ــ ٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦ ، ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٥٨ ، ١٥٩]. وفى الصحيح ــ صحيح البخارى ــ : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدا ، وهو يرزقهم ويعافيهم » (٣) .

وقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ قال : « قال الله ، عز وجل : كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقوله : لن يُعيدَنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته . وأما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولداً . وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن همام بن مُنَبِّه ، عن أبى هريرة ، مرفوعاً بمثله . تفرد بهما من هذين الوجهين (٤) .

آخر تفسير سورة « الإخلاص »

---

(١) زيادة من م ، أ .

(٢) وقد أطنب شيخ الإسلام ابن تيمية فى بيان معنى الصمد فى الفتاوى (١٧/ ٢١٤) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٦٠٩٩) من حديث أبى موسى ، رضى الله عنه .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٤) وبرقم (٤٩٧٥) .

سورة الإخلاص

مكّيّة،[1] وهي أربع آياتٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير للشأن، ومدار وضعه موضعَه مع عدم سَبْق ذِكره الإيذانُ بأنّه مِن الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كلّ أحد، وإليه يُشير كلّ مُشير، وإليه يعود كلّ ضمير، كما ينبئ عنه اسمُه الذي أصله القصدُ، أُطلِق على المفعول مبالغةً، ومحلُّه الرفع على الابتداء، خبرُه الجملة بعده، ولا حاجةَ إلى الرابط؛ لأنّها عين الشأن الذي عُبّر عنه بالضمير.

والسرُّ في تصدير الجملة به التنبيهُ مِن أوّل الأمر على فخامة مضمونها وجلالةِ حيّزها مع ما فيه مِن زيادة تحقيق وتقرير، فإنّ الضمير لا يُفهَم منه مِن أوّل الأمر إلّا شأن مُبهَم له خطرٌ جليل فيبقى الذهن مترقّبًا لِما أمامه ممّا يفسّره ويزيل إبهامه، فيتمكّن عند وروده له فضلَ تمكُّن.

وهمزة ﴿أَحَدٌ﴾ مُبدَلة مِن "الواو"، وأصله "وَحَدٌ" لا كهمزة ما يُلازم النفي ويُراد به العموم كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة، ٤٧/٦٩]، وما في قوله عليه السلام: «ما أُحِلّت الغنائم لأحد سُودِ الرءوس غيرِكم»،[2] فإنّها أصليّة.[3]

وقال مكّي: أصل ﴿أَحَدٌ﴾ واحد، فأُبدِلت الواو همزةً فاجتمع ألفان؛ لأنّ "الهمزة" تشبِه "الألف"، فحُذفت إحداهما تخفيفًا.[4] وقال ثعلب: إنّ "أحدًا"

---

١ س + وقيل مدنيّة.

٢ سنن الترمذي، ٣١٨/٥ (٣٠٨٥)؛ التفسير البسيط للواحدي، ٥٣٠/٤ (البقرة، ٢٨٥/٢).

٣ السياق: لا كهمزة... فإنّها أصليّة...

٤ انظر: التبيان للعكبري، ١٣٠٩/٢؛ ونقله عنه ابن عادل في اللباب، ٥٥٩/٢٠.

لا ينبى عليه العدد ابتداءً، فلا يقال: "أحد واثنان" كما يقال: "واحد واثنان"، ولا يقال: "رجلٌ أحدٌ" كما يقال: "رجلٌ واحدٌ"، ولذلك اختصّ به تعالى.[1]

أو هو لِما سئل عنه، أي: الذي سألتم عنه هو الله؛ إذ روي أنّ قريشًا قالوا: «صِفْ لنا ربّك الذي تدعونا إليه، وانْسِبْه»، فنزلت.[2] فالضمير مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ﴾ خبره، و﴿أَحَدٌ﴾ بدل منه، أو خبر ثان، / أو خبر مبتدأ محذوف. [٣٢٦ظ]

وقُرِئ: "هُوَ اللهُ أَحَدٌ"[3] بغير ﴿قُلْ﴾، وقُرِئ: "اللهُ أَحَدٌ"[4] بغير ﴿قُلْ هُوَ﴾، وقُرِئ: "قُلْ هُوَ الوَاحِدُ".[5]

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ فعل بمعنى مفعول، مِن "صمَد إليه" إذا قصَده، أي: هو السيِّد المصمود إليه في الحوائج، المستغني بذاته، وكلّ ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته. وقيل: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال. وقيل: الذي يفعل ما يشاء، ويحكُم ما يُريد، وتعريفُه لعِلمهم بصمديّته، بخلاف أحديّته.[6]

وتكريرُ الاسم الجليل للإشعار بأنّ مَن لم يتَّصف بذلك فهو بمَعزِل مِن استحقاق الألوهيّة، وتعريةُ الجملة عن العاطف؛ لأنّها كالنتيجة للأولى، بُيِّن أوّلًا ألوهيّته عزّ وجلّ المستتبعة لكافة نعوت الكمال، ثمّ أحديّتُه الموجِبة لتنزهُّه عن شائبة التعدّد والتركّب بوجه مِن الوجوه وتوهُّمِ المشاركة في الحقيقة وخواصّها، ثمّ صمديّتُه المقتضية لاستغنائه الذاتي عمّا سواه وافتقارِ جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقًا للحقّ وإرشادًا لهم إلى سَننه الواضح.

ثمّ صُرِّح ببعض أحكام جزئيّة مندرِجة تحت الأحكام السابقة فقيل: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ تنصيصًا على إبطال زَعْم المفترين في حقّ الملائكة والمسيح، ولذلك

---

[1] الكلام عنه في اللباب لابن عادل، ٥٥٩/٢٠-٥٦٠.

[2] بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٧٢٧/٢٤-٧٢٨؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٥٨٧/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٦٢١/٤.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وأُبيّ بن كعب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨٣.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨٣.

[5] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود والأعمش. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨٣.

[6] القولان في اللباب لابن عادل، ٥٦١/٢٠.

ورَد النفيُ على صيغة الماضي، أي: لم يصدر عنه ولد؛ لأنّه لا يُجانسه شيء ليمكن أن يكون له مِن جنسه صاحبة فيتوالدا، كما نطق به قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام، ٦/١٠١]، ولا يفتقر إلى ما يُعينه أو يخلُفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: لم يصدر عنه شيء لاستحالة نسبة العدم سابقًا أو لاحقًا، والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقِه بالإشارة إلى أنّهما متلازمان؛ إذ المعهودُ أنّ ما يلِد يُولَد، وما لا فلا، ومِن قضيّة الاعتراف بأنّه لم يُولَد الاعتراف بأنّه لا يلِد، فهو قريب مِن عطف ﴿لَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس، ١٠/٤٩] على ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ كما مرّ تحقيقه.[١]

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: لم يُكافئه أحد، ولم يُماثله ولم يُشاكله مِن صاحبة وغيرها، و﴿لَّهُۥ﴾ صلة لـ﴿كُفُوًا﴾ قُدِّمت عليه مع أنّ حقّها التأخّر عنه للاهتمام بها؛ لأنّ المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى، وقد جُوِّز أن يكون خبرًا لا صلة، ويكون ﴿كُفُوًا﴾ حالًا مِن ﴿أَحَدٌۢ﴾،[٢] وليس بذاك. وأمّا تأخير اسم "كان" فلمراعاة الفواصل. ووجهُ الوصل بين هذه الجمل غنيّ عن البيان. وقُرئ بضمّ "الكاف" و"الفاء" مع تسهيل "الهمزة"،[٣] وبضمّ "الكاف" وكسرها مع سكون "الفاء".[٤]

هذا، ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قُطريها على أشتات المعارف الإلهيّة والردّ على مَن ألحَد فيها ورَدَ في الحديث النبويّ أنّها تعدل ثُلث القرآن،[٥] فإنّ مقاصده منحصرةٌ في بيان العقائد والأحكام والقصص، ومَن عدَلها بكلّه اعتبر المقصود بالذات منه.

/ رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «أُسِّست السماواتُ السبع والأرضون السبع على ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»،[٦] أي: ما خلقت إلّا لتكون دلائلَ [٣٢٧و]

---

١ في تفسير يونس، ١٠/٤٩.
٢ الوجه في التبيان للعكبري، ٢/١٣٠٩.
٣ قرأ بها حفص. النشر لابن الجزري، ٢/٤٠٤.
٤ قرأ بضمّ "الكاف" مع سكون "الفاء" حمزة ويعقوب وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٤٠٤. وبكسر "الكاف" مع سكون "الفاء" قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن سليمان. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٧٤.
٥ انظر: صحيح البخاري، ٦/١٨٩ (٥٠١٣)؛ وصحيح مسلم، ١/٥٥٦ (٨١١).
٦ بلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٦٢٢؛ وقال عنه الطِّيبي في فتوح الغيب، ١٦/٦٤١: «لم أجد الحديث في الأصول المعتبرة».

على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نُطقت بها هذه السورة. وعنه عليه السلام أنّه سمع رجلًا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: «وجبتْ»، فقيل: وما وجبتْ يا رسول الله؟ قال: «وجبتْ له الجنّة».[١]

[١] س + تمّ. | مسند أحمد، ٣٨٦/١٣ (٨٠١١)؛ الكشّاف للزمخشري، ٦٢٢/٤.

١١٢

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

مكية أو مدنية، أربعُ أو خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئل النبيّ ﷺ عن ربّه، فنزل: ١ ـ ﴿قُلْ: هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. فاللهُ: خبرُ «هو»، وأحدٌ: بدلٌ منه، أو خبرٌ ثانٍ.

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

قولُهُ: (عَن رَبِّه) رويَ أنَّ قريشاً قالوا: يا محمَّدُ صِف لنا ربَّكَ الذي تَدعونا إليه[1].

قولُهُ: (خَبَرُ هُو) والضَّميرُ لما سُئلَ عنه؛ أي: الذي سُئِلَ عنه هو اللهُ تعالى.

قولُهُ: (وَأحَد) قيلَ: إنَّه بمعنى واحِد؛ أي: غيرُ مُتعَدِّدٍ، وعندَ المحقِّقينَ: أنَّ الأحَديَّةَ لتفرُّدِ الذَّاتِ، والواحِديَّةَ لنفيِ المشارَكَةِ في الصِّفات.

قولُهُ: (بَدَلٌ مِنهُ) بدل النَّكرَةِ من المعرِفَةِ من غيرِ تخصيصِهِ بصفَةٍ مُختَلَفٌ فيه، واختارَ الرَّضيُّ[2] و«الكشاف»[3] جوازَهُ إذا استُفيدَ من البَدَلِ ما ليسَ في المبدَلِ منه.

قولُهُ: (أو خَبرٌ ثَانٍ) ونُكِّر مع أنَّ مُقارِنَهُ معرفَةٌ؛ لأنَّ حقَّ الخَبرِ أن يكونَ نكرَةً، كما أنَّ حقَّ المبتَدَأ أن يكونَ معرفَةً.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٦٤)، وأحمد في «مسنده» (٢١٢١٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٧).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: «شرح الرضي لكافية ابن الحاجب» (١/ ١٠٨٢)، و«فتوح الغيب» (١٦/ ٦٣٣).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٨١٧).

٢ ـ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: مُبتدأٌ وخبرٌ، أي: المقصود في الحوائج على الدوام، ٣ ـ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لِانتفاء مُجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لِانتفاء الحُدوث عنه، ٤ ـ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: مُكافئًا ومُماثلاً. فله: مُتعلِّق بـ «كفوًا»، وقُدِّم عليه لأنه مَحطُّ القصد بالنفي، وأُخِّر «أحد» ـ وهو اسم «يكن» ـ عن خبرها رِعاية للفاصلة.

قولُهُ: (أي: المَقصُودُ) أي: إليه، وهو الموصوفُ بِهِ على الإطلاقِ، فإنَّه يستَغني عن غيره مطلَقاً، وكلُّ ما عَداهُ مُحتاجٌ إليه في جميعِ وُجوهِهِ.

قولُهُ: (لانتِفَاءِ مُجَانِسِهِ) وعَدمِ افتقارِهِ إلى ما يعينُهُ، أو يخلُفُ عنه لامتِناعِ الحاجَةِ والفَناءِ عليه.

قولُهُ: (لانتِفَاءِ الحُدُوثِ) عنه وعدَمِ افتقارِهِ إلى شيءٍ.

قولُهُ: (ومُمَاثِلاً) عَطفُ تَفسيرٍ.

قولُهُ: (عَن خَبَرِهَا) أي: ﴿يَكُن﴾، وهو مُتعلِّقٌ بأُخِّرَ، والله أعلمُ.

* * *

سورة الإخلاص

وسُمِّيتْ بها لما فيها من التوحيد، ولذا سُمِّيت أيضاً بالأساس، فإنَّ التوحيدَ أصلٌ لسائر أصول الدين. وعن كعب كما قال الحافظ ابن رجب: أُسِّستِ السماواتُ السبعُ والأرضون السبع على هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. ورواه الزمخشريُّ عن أُبيٍّ وأنسٍ مرفوعاً(١)، ولم يذكره أحدٌ من المحدِّثين المعتبَرين كذلك، وكيف كان فالمرادُ به كما قال: ما خُلقتِ السماواتُ والأرضونَ إلا لتكونَ دلائلَ على توحيد الله تعالى، ومعرفة صفاته التي تضمَّنتها هذه السورة.

وقيل: معنى تأسيسها عليها أنها إنما خُلقتْ بالحقِّ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩] وهو العدلُ والتوحيدُ، وهو إن لم يرجعْ إلى الأول لا يخلو عن نظر.

وقيل: المراد أنَّ مُصحِّحَ إيجادهما - أي: بَعْدَ إمكانهما الذاتي - ما أشارت إليه السورةُ من وَحْدته عزَّ وجلَّ، واستحالة أن يكونَ له سبحانه شريكٌ؛ إذ لولا ذلك لم يمكن وجودهما؛ لإمكان التمانُع كما قرَّره بعضُ الأجلة في توجيه برهانية قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وفيه بُعْدٌ.

وتسمَّى أيضاً سورةَ «قل هو الله أحد» كما هو مشهورٌ، ويشير إليه الأثرُ أيضاً.

والمقشقشةُ لما سمعتَ في تفسير سورة الكافرون(٢)، وسورةَ التوحيد، وسورةَ

---

(١) الكشاف ٤/٢٩٩. قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٩٠: لم أجده مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن من رواية عبد الله بن غيلان الثقفي عن كعب الأحبار موقوفاً.

(٢) ص٣٧٤ من هذا الجزء.

التفريد، وسورةَ التجريد، وسورةَ النجاة، وسورةَ الولاية، وسورةَ المعرفة؛ لأنَّ معرفةَ الله تعالى إنما تتمُّ بمعرفة ما فيها، وفي أثرٍ أنَّ رجلاً صلى فقرأها، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ هذا عبدٌ عَرَفَ ربَّه»(١).

وسورةَ الجمال، قيل: لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنَّ الله جميلٌ يُحبُّ الجمال» فسألوه ﷺ عن ذلك فقال: «أحدٌ صَمَدٌ، لم يلدْ ولم يولد»(٢). ولا أظنُّ صحةَ الخبر.

وسورةَ النسبة؛ لورودها جواباً لمن قال: انسبْ لنا ربَّك(٣)؟ على ما ستسمعه إن شاء الله تعالى. وقيل: لما أخرجه الطبرانيُّ من طريق عثمان بن عبد الرحمن الطّرائفيّ عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ شيءٍ نسبةٌ، ونسبةُ الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾(٤) وهو كما قال الحافظ ابن رجب: ضعيفٌ جدًّا، وعثمانُ يروي المناكير. وفي «الميزان» أنه موضوعٌ(٥).

وسورةَ الصمد وسورةَ المعوِّذة؛ لما أخرج النسائيُّ والبزارُ وابن مردويه بسندٍ صحيحٍ(٦) عن عبد الله بن أنيس قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ وَضَعَ يدهُ على صدري، ثم قال: «قل» فلم أدرِ ما أقول. ثم قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقلت حتى فرغت منها.

---

(١) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٢٩٨ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وأخرجه ابن حبان (٢٤٦٠) بلفظ: «هذا عبد آمن بربِّه».

(٢) أخرج الشطر الأول منه أحمد (٣٧٨٩)، ومسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ولم نقف على سؤالهم لرسول الله ﷺ في كتب الحديث وذكره الرازي في تفسيره ٣٢/ ١٧٦.

(٣) وتمامه: فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾. أخرجه أحمد (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤) من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه. وفي إسناده أبو سعد محمد بن مُيسَّر الصاغاني، وأبو جعفر الرازي وهو عيسى بن عبد الله بن ماهان، وهما ضعيفان كما في التقريب.

(٤) المعجم الأوسط (٧٣٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٦: فيه الوازع بن نافع، وهو متروك.

(٥) لم نقف عليه في الميزان للذهبي، ونقله المصنف عن الشهاب في الحاشية ٨/ ٤١١.

(٦) كما في الدر المنثور ٦/ ٤١٥، وهو في سنن النسائي الكبرى (٧٧٩٦).

ثم قال: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) فقلت حتى فرغتُ منها. ثم قال: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) فقلت حتى فرغت منها. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا فتعوَّذْ، وما تَعوَّذَ المتعوِّذونَ بمثلهنَّ قطُّ».

وسورةَ المانعة، قيل: لما روى ابن عباس أنه تعالى قال لنبيِّه ﷺ حين عرجَ به: أعطيتكَ سورةَ الإخلاص، وهي من ذخائر كنوز عرشي، وهي المانعةُ، تمنعُ كُرُبات القبر، ونفحات النيران[1]. والظاهرُ عدمُ صحة هذا الخبر، ويعارضه ما أخرجه ابن الضُّريس[2] عن أبي أمامة: أربعُ آياتٍ نزلت من كنز العرش، لم ينزلْ منه غيرهنَّ: أمُّ الكتاب، وآيةُ الكرسي، وخاتمةُ سورة البقرة، والكوثر. وحُكْمُه حكم المرفوع، بل أخرجه أبو الشيخ ابن حيان[3] والديلميُّ وغيرهما بالسند عن أبي أمامةَ مرفوعاً[4].

وسورةَ المحضر قيل: لأنَّ الملائكةَ عليهم السلام تحضُرُ لاستماعها إذا قُرِئت.

وسورةَ المنفِّرة، قيل: لأنَّ الشيطان ينفرُ عند قراءتها.

وسورةَ البراءة قيل: لما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً يقرؤها فقال: «أما هذا فقد برئَ من الشرك»[5]، ولم أَدْرِ مَنْ روى ذلك، نعم روى أبو نعيم من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة عن مهاجر قال: سمعتُ رجلاً يقول: صحبتُ النبيَّ ﷺ في سَفَرٍ، فسَمِعَ رجلاً يقرأ: (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ) فقال: «قد بَرئَ من الشرك» وسَمِعَ آخر يقرأ: (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) فقال: «غُفِرَ له»[6]، وعليه فألحق بهذا الاسم سورة الكافرون، ولعلَّ الأَولى أن يقال: سُمِّيتْ بذلك لما في حديث

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره ٣٢/ ١٧٦.

(٢) في فضائل القرآن (١٤٨).

(٣) في الأصل و(م): أخرجه الشيخ بن حبان، والصواب ما أثبتناه، وقد أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ١/ ٥، وينظر التعليق الذي بعده.

(٤) عزاه السيوطي في الدر ١/ ٥ لأبي الشيخ والطبراني وابن مردويه والديلمي، وهو في المعجم الكبير (٧٩٢٠)، وإسناده ضعيف، ينظر فيض القدير ١/ ٤٦٩.

(٥) ذكره الرازي في تفسيره ٣٢/ ١٧٦.

(٦) أخرجه أحمد (١٦٦١٧).

الترمذيِّ عن أنسٍ: «مَنْ أراد أن ينام على فراشه، فنام على يمينه ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئة مرة، كَتَبَ الله تعالى له براءةً من النار»[١].

وسورةَ المذكِّرة؛ لأنها تُذكِّر خالصَ التوحيد.

وسورةَ النور، قيل: لما روي من قوله ﷺ: «إنَّ لكلِّ شيءٍ نوراً، ونورُ القرآن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٢].

وسورةَ الإيمان؛ لأنه لا يتمُّ بدون ما تضمَّنته من التوحيد، وقد ذَكَرَ معظمَ هذه الأسماء الإمام الرازي[٣]، وبيَّنَ وجهَ التسمية بها بما بيَّنَ، والرجلُ رحمه الله تعالى ليس بإمامٍ في معرفة أحوال المرويّات، لا يُميِّزُ غثَّها من سمينها، أو لا يبالي بذلك، فيكتبُ ما ظفر به، وإن عرفَ شِدَّةَ ضَعْفِهِ.

وهي مكيةٌ في قول عبد الله والحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد وقتادة، مدنيةٌ في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وأبي العالية والضحاك؛ قاله في «البحر»[٤]، وخبرُ ابن عباس السابق ـ إن صحَّ ـ ظاهرٌ في أنها عنده مكية، وفي «الإتقان»[٥]: فيها قولان؛ لحديثين في سبب نزولها متعارضين، وجَمَعَ بعضُهم بينهما بتكرُّرِ نزولها، ثم ظَهَرَ لي ترجيحُ أنها مدنية.

وعلى ما في الكتابين لا يخفى ما في قول الدواني: إنها مكيةٌ بالاتفاق، من الدلالة على قِلَّة الاطّلاع.

وآيها خمسٌ في المكِّي والشامي، أربعٌ في غيرهما[٦].

وَوُضِعَتْ هنا، قيل: للوزان في اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة المسد.

---

(١) سنن الترمذي (٢٨٩٨)، وفي إسناده حاتم بن ميمون، وهو ضعيف كما في التقريب.
(٢) ذكره الرازي في تفسيره ٣٢/ ١٧٦.
(٣) في تفسيره ٣٢/ ١٧٥ وما بعدها.
(٤) ٨/ ٥٢٧.
(٥) ١/ ٤٢.
(٦) في هامش الأصل: اختلافها «لم يلد» مكي شامي.

وقيل وهو الأولى: إنها مُتَّصلةٌ بـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ في المعنى، فهما بمنزلة كلمة التوحيد في النفي والإثبات، ولذا يُسمَّيان المقشقشتين، وقُرن بينهما في القراءة في صلواتٍ كثيرةٍ على ما قاله بعضُ الأئمة، كركعتي الفجر والطواف والضُّحى وسنَّة المغرب وصُبْح المسافر ومغرب ليلة الجمعة، إلا أنه فُصِلَ بينهما بالسورتين لما تقدم من الوجه ونحوه. وكأنَّ في إيلائها سورةَ «تبَّت» ردًّا على أبي لهبٍ بخصوصه.

وجاء فيها أخبارٌ كثيرةٌ تدلُّ على مزيد فضلها، منها ما تقدم آنفاً، وفي صحيحي البخاري ومسلم[(١)] من حديث عائشة: أن النبيَّ ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلواتهم، فكان يختم بـ «قل هو الله أحد» فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأيِّ شيءٍ يصنع ذلك» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأها. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «أخبروه أنَّ الله تعالى يحبُّه»[(٢)].

وروى مباركُ بن فضالة عن أنسٍ أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، إني أُحِبُّ هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. قال: «إنَّ حُبَّكَ إياها أدخلكَ الجنة»[(٣)]. وأخرجه الإمام أحمد في «المسند»[(٤)] عن أبي النضر عن مبارك المذكور عن أنس، وذكر البخاريُّ أنَّ حُبَّها يُوجِبُ دخولَ الجنة تعليقاً[(٥)].

وروى مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا هريرةَ يقول: أقبلتُ مع النبيِّ ﷺ، فسَمِعَ رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٧٥)، وصحيح مسلم (٨١٣).
(٢) من قوله: وفي صحيحي... إلى هنا ليس في (م)، وضُرب عليه في النعمانية (ب).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٠١)، وأخرجه أيضاً ضمن خبر طويل من طريق عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث عبيد الله بن عمر عن ثابت. وجاء في هامش الأصل عند هذا الموضع: ومنها: أنَّ من قرأها في مرض موته فهو من الشهداء.
(٤) برقم (١٢٤٣٢).
(٥) قبل الحديث (٧٧٥).

«وجبت» قلت: وما وَجَبَتْ؟ قال: «الجنة» وأخرجه النسائيُّ والترمذيُّ وقال: حديثٌ صحيحٌ، لا نعرفه إلا من حديث مالك[١].

وأخرج أبو داود وابن ماجه والترمذيُّ[٢] ـ وقال: حسنٌ غريبٌ ـ عن بريدةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ سَمِعَ رجلاً يقول: اللهمَّ إني أسألك بأني أشهدُ أنك أنتَ الله لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكنْ له كفواً أحد. فقال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده، لقد سألَ الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى».

وفي «المسند» عن مِحْجَن بن الأدرَع أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ المسجد، فإذا هو برجلٍ قد قضى صلاته، وهو يتشهَّدُ ويقول: إني أسألكَ يا الله الواحدُ الأحدُ الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفرَ لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم. فقال نبيُّ الله ﷺ ثلاثَ مرات: «قد غُفِرَ له، قد غُفِرَ له، قد غُفِرَ له»[٣].

وأخرج البخاريُّ ومالك وأبو داود والنسائيُّ عن أبي سعيدٍ أنَّ رجلاً سَمِعَ رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدها، فلما أصبحَ جاء إلى النبيِّ ﷺ، فَذَكَرَ ذلك له، وكأنَّ الرجلَ يتقالُّها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدلُ ثلثَ القرآن»[٤].

---

(١) مالك في الموطأ ١/ ٢٠٨، والنسائي في المجتبى ٢/ ١٧١، والترمذي (٢٨٩٧)، وهو عند أحمد (٨٠١١). ووقع في مطبوع سنن الترمذي، وعارضة الأحوذي ١١/ ٢٥: حديث حسن غريب، بدل: حديث صحيح. وفي تحفة الأحوذي ٨/ ٢٠٩، وتفسير ابن كثير ٨/ ٥٢٣ نقلاً عن الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٢) أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وهو عند أحمد (٢٢٩٦٥).

(٣) مسند أحمد (١٨٩٧٤).

(٤) البخاري (٥٠١٣)، ومالك ١/ ٢٠٨، وأبو داود (١٤٦١)، والنسائي في المجتبى ٢/ ١٧١، وهو عند أحمد (١١٣٠٦).

وقوله: يتقالها: أصله يتقاللها، أي: يعتقد أنها قليلة، والمراد استقلال العمل لا التنقيص. فتح الباري ٩/ ٦٠.

وأخرج أحمد والنسائيُّ في «اليوم والليلة»[١] من طريق هُشَيم عن أُبيٍّ بن كعب، أو رجلٍ من الأنصار، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ بثلث القرآن».

وفي رواية يوسف بن عطية الصَّفَّار بسنده عن أُبيٍّ مرفوعاً: «مَن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ ثُلُثَ القرآن، وكُتِبَ له من الحسنات بعَدَدِ مَنْ أشرك بالله تعالى وآمن به»[٢].

وجاء أنها تعدلُ ثُلُثَ القرآن في عِدَّة أخبارٍ مرفوعةٍ وموقوفةٍ، وفي «المسند»[٣] من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن أبي الهيثم عن أبي سعيدٍ قال: باتَ قتادةُ بن النعمان يقرأ الليل[٤] كلَّه بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فذُكر ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدلُ نصفَ القرآن أو ثُلُثَهُ». وحُمِلَ على الشَّكِّ من الراوي[٥].

والروايات تُعيِّنُ الثلث، واختلف في المراد بذلك؛ فقيل: المراد أنها باعتبار معناها ثلثٌ من القرآن المجزَّأ إلى ثلاثة، لا أنَّ ثوابَ قراءتها ثلثَ ثواب القرآن. وإلى هذا ذهب جماعةٌ، لكنهم اختلفوا في بيان ذلك:

فقيل: إنَّ القرآنَ يشتملُ على قصصٍ، وأحكامٍ، وعقائدَ، وهي كلُّها مما يتعلَّقُ بالعقائد، فكانت ثُلُثاً بذلك الاعتبار.

وقال الغزاليُّ في «الجواهر» ما حاصله: هي عِدْلُ ثلثه باعتبار أنواع العلوم الثلاثة، التي هي أمُّ ما في القرآن: عِلْمُ المبدأ، وعِلْمُ المعاد، وعِلْمُ ما بينهما، أعني الصراطَ المستقيم.

---

(١) أحمد (٢١٢٧٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٨٥).

(٢) أخرجه الخلال في فضائل سورة الإخلاص (٢٦)، وذكره الرازي في تفسيره ٣٢/ ١٧٤.

(٣) برقم (١١١١٥).

(٤) في (م): الليلة.

(٥) قال ابن عبد البر في التمهيد ١٩/ ٢٢٨: أو نصفه، شكٌّ من المحدّث، لا يجوز أن يكون شكًّا من النبي ﷺ، على أنها لفظة غير محفوظة في هذا الحديث ولا في غيره، والمحفوظ الثابت الصحيح في هذا الحديث وغيره أنها تعدل ثلث القرآن دون شك.

وقال الجوني: المطالب التي في القرآن معظمها الأصول الثلاثة التي بها يصحُّ الإسلام ويحصلُ الإيمان، وهي: معرفة الله تعالى، والاعترافُ بصِدْق رسوله ﷺ، واعتقادُ القيام بين يديه، وهذه السورةُ تفيدُ الأصلَ الأولَ، فهي ثُلُثُهُ من هذا الوجه.

وقيل: القرآنُ قسمان: خبرٌ وإنشاءٌ، والخبرُ قسمان: خبرٌ عن الخالق، وخبرٌ عن المخلوق، فهذه ثلاثةُ أثلاثٍ، وسورةُ الإخلاص أخلصتِ الخبرَ عن الخالق، فهي بهذا الاعتبار ثُلُثٌ، وهذا كما ترى.

وأيًّا ما كان قيل: لا تَنَافيَ بين رواية الثلث ورواية «عِدْل القرآن كلِّه» المذكورة في «الكشاف»[(١)] على تقدير ثبوتها؛ لجواز أن يقال: هي عِدْلُ القرآن باعتبار أنَّ المقصودَ التوحيد، وما عداه ذرائعُ إليه.

ويؤيِّدُ اعتبارَ الأجزاء أنفسها دون الثواب ما في «صحيح مسلم»[(٢)] من طريق قتادة عن أبي الدرداء أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أيعجزُ أحدكم أن يقرأ كلَّ يوم ثُلُثَ القرآن» قالوا: نعم. قال: «فإنَّ الله تعالى جزَّأ القرآنَ ثلاثةَ أجزاء فـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُلُثُ القرآن».

وقيل: المراد: تعدِلُ الثلثَ ثواباً لظواهر[(٣)] الأحاديث. وضعَّفَ ذلك ابنُ عقيل، وقال: لا يجوز أن يكونَ المعنى: فله أجرُ ثُلُثِ القرآن؛ لقوله ﷺ: «من قرأ القرآنَ فله بكلِّ حرفٍ عشر حسنات»[(٤)]، فيكونُ ثوابُ قراءة القرآن بتمامه أضعافاً مضاعفةً بالنسبة لثواب قراءة هذه السورة. والدوانيُّ أورَد هذا إشكالاً على هذا القول، ثم أجابَ بأنَّ للقارئ ثوابين تفصيليًّا بحَسَب قراءة الحروف، وإجماليًّا بسبب ختمه القرآن، فثواب «قل هو الله أحد» يَعدِلُ ثُلُثَ ثواب الختم الإجمالي

---

(١) ٤/ ٢٩٨، وأخرج هذه الرواية أبو يعلى (١٤٨١) عن أنس ﷺ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٣٤ و٧/ ١٤٧: رواه أبو يعلى، وفيه عبيس بن ميمون، وهو متروك.
(٢) برقم (٨١١)، وهو عند أحمد (٢٧٥٢٢).
(٣) في (م): بالظواهر.
(٤) أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، والطبراني في الكبير (٨٦٤٦)، والحاكم ١/ ٥٥٥ من حديث ابن مسعود ﷺ. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

لا غيره، ونظيره إذا عيَّنَ أحدٌ لمن يبني له داراً في كلِّ يومٍ دنانير، وعيَّنَ له إذا أتمَّهُ جائزةً أخرى غيرَ أجرته اليومية. وعلى هذا يقاس ما ورد في سائر السور من أنها تعدل ربع القرآن أو أقلّ أو أكثر(١).

وفي «شرح البخاري» للكرماني: فإن قلتَ: المشقَّةُ في قراءة الثلث أكثرُ منها في قراءتها، فكيف يكون حكمه حكمها؟ قلتُ: يكون ثوابُ قراءة الثلث بعَشْرٍ، وثوابُ قراءتها بقَدْرِ ثواب مرَّةٍ منها؛ لأنَّ التشبيهَ في الأصل دون الزائد، وتِسْعٌ منها في مقابلة زيادة المشقة.

وقال الخفاجيُّ ـ بعد أن قال: ليس فيما ذُكِرَ ما يُثلِجُ الصدرَ ويطمئنُّ له البال ـ: والذي عندي في ذلك أنَّ للناظر في معنى كلام الله تعالى المتدبِّر لآياته ثواباً، وللتالي له وإن لم يفهمه ثوابٌ آخرُ، فالمراد أنَّ مَنْ تلاها مراعياً حقوقَ أدائها، فاهماً دقيقَ معانيها، كانت تلاوته لها مع تأملها وتدبُّرها تعدِلُ ثوابَ تلاوة ثلثِ القرآن من غيرِ نظرٍ في معانيه، أو ثلثٍ ليس فيه ما يتعلَّقُ بمعرفة الله تعالى وتوحيده، ولا بدعَ في أشرف المعاني إذا ضُمَّ لبعضٍ من أشرف الألفاظ أن يَعْدِلَ من جنس تلك الألفاظ مقداراً كثيراً، كلوح ذهبٍ زِنَتُهُ عشرةُ مثاقيل مُرَصَّع بأنفس الجواهر، يساوي ألفَ مثقالٍ ذهباً فصاعداً(٢). انتهى.

ولا أرى له كثيرَ امتيازٍ على غيره مما تقدم، والذي أختاره أن يقال: لا مانع من أن يخصَّ الله عزَّ وجلَّ بعضَ العبادات التي ليس فيها كثيرُ مشقَّةٍ بثوابٍ أكثرَ من ثواب ما هو من جنسها وأشقَّ منها بأضعافٍ مضاعفة، وهو سبحانه الذي لا حَجْرَ عليه، ولا يتناهى جُوده وكرمه، فلا يبعدُ أن يتفضَّلَ جلَّ وعلا على قارئ القرآن بكلِّ حرفٍ عشرَ حسنات، ويزيد على ذلك أضعافاً مضاعفةً جدًّا لقارئ الإخلاص، بحيث يعدِلُ ثوابُه ثوابَ قارئ ثُلُثٍ منه غير مشتملٍ على تلك السورة، ويُفوَّضُ حكمة التخصيص إلى علمه سبحانه، وكذا يقال في أمثالها، وهذا مرادُ مَنْ جَعَلَ

---

(١) من قوله: وعلى هذا... إلى هنا ليس في (م)، وكلام الدواني ذكره أيضاً الشهاب في الحاشية ٨/ ٤١٤.

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٤١٤.

ذلك من المتشابه الذي استأثرَ الله تعالى بعلمه، وليس هذا بأبعدَ ولا أبدعَ من تخصيص بعض الأزمنة والأمكنة المتَّحدة الماهية بأنَّ للعبادة فيه[١] - ولو قليلةً - من الثواب ما يزيدُ أضعافاً مضاعفة على ثواب العبادة في مجاوره - مثلاً - ولو كثيرة، بل قد خصَّ سبحانه بعضَ الأزمنة والأمكنة بوجوب العبادة فيه، وبعضَها بحُرْمتها فيه، وله سبحانه في كلِّ ذلك من الحِكَمِ ما هو به أعلمُ.

وقال ابن عبد البر[٢]: السكوتُ في هذه المسألة أفضلُ من الكلام فيها وأَسْلَمُ. ثم ذَكَرَ عن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه أنهما - وهما إمامان بالسُّنَّة - ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة وقد سئلا عنها. ومراده من ذلك تأييدُ ما ادَّعى من أنَّ السكوتَ أسلمُ، وهو كذلك، لكنْ على الوجه الذي قرَّرناه.

وقد وَرَدَ في تكرار قراءتها خمسينَ مرةً أو أكثر من ذلك، وعشرَ مراتٍ عقيبَ كلِّ صلاةٍ أحاديثُ كثيرةٌ، فيها كما قال الحافظ ابن رجب ضَعْفٌ[٣]، وكذلك حديثُ معاوية بن معاوية الليثي الذي افتتح به الإمامُ[٤] الكلامَ في هذه السورة الكريمة، خرَّجه الطبرانيُّ وأبو يعلى من طُرُقٍ كلُّها ضعيفة[٥]، والأحاديثُ الصحيحة

(١) في (م): منه.
(٢) في الاستذكار ٨/١١٧-١١٨.
(٣) من قوله: ثم ذكر. . . . إلى هنا ليس في (م)، وضرب عليه في النعمانية (ب).
وقد جاء في فضل تكرارها خمسين مرة حديث أخرجه الدارمي في مسنده (٣٤٣٨) أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ: قل هو الله أحد خمسين مرة، غفرت له ذنوب خمسين سنة».
قال ابن كثير في تفسيره ٨/ ٥٣٤: إسناده ضعيف.
وفي فضل قراءتها عشر مرات ما أخرجه أحمد (١٥٦١٠) من حديث معاذ بن أنس الجهني، وإسناده ضعيف، وأخرج الدارمي (٣٤٢٩) من طريق سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ: قل هو الله أحد عشر مرات بُني له بها قصرٌ في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بني له بها قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له بها ثلاثة قصور في الجنة» قال ابن كثير: وهذا مرسل جيد.
(٤) في تفسيره ٣٢/ ١٧٤.
(٥) أخرجه أبو يعلى (٤٢٦٧) من حديث أنس ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٧٨: رواه أبو يعلى، وفيه العلاء بن زيدل أبو محمد الثقفي، وهو متروك.

الواردةُ فيها تكفي في فضلها، بل قيل لذلك: إنها أفضلُ سورةٍ في القرآن، ومنهم من استدلَّ عليه بما روى الدارميُّ في «مسنده» عن أبي المغيرة عن صفوان [عن أَيْفَعَ بن عبد] الكَلَاعِيِّ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، أيُّ سُوَرِ القرآن أعظمُ؟ قال: «قل هو الله أحد»(١).

وفي «المسند»(٢) من طريقي معان(٣) بن رفاعة وأسيد بن عبد الرحمن، عن عقبةَ بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُعلِّمكَ خيرَ ثلاثِ سُوَرٍ أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم»؟ قلت: بلى. قال: فأقرأني (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ) و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) ثم قال: «يا عقبةُ، لا تنساهنَّ(٤)، ولا تَبِتْ ليلةً حتى تقرأهنَّ» وروى الترمذيُّ(٥) بعضَ هذا الحديث وحسَّنه، ولا يدلُّ على أنها أفضلُ سُوَرِ القرآن مطلقاً، بل على أنها من الأفضل.

واعلم أنَّ(٦) في هذا المطلب كلاماً، فقد اختلف الناسُ: هل في القرآن شيءٌ أفضلُ من شيءٍ؟ فذهب الأشعريُّ وأبو بكر الباقلاني وابن حبان(٧) إلى منع أن يقال في شيءٍ منه: إنه أفضلُ من شيءٍ آخر منه، وروي ذلك عن مالك؛ لأنَّ الكلَّ كلامُ الله تعالى، ولئلّا يُتوهَّمَ نقصُ المفضَّل عنه. وقال ابن حبان(٨) في «أعظم» فيما تقدم: إنه أُريد به: أعظم في الأجر.

---

(١) سنن الدارمي (٣٣٨٠) وما سلف بين حاصرتين منه، وهو حديث مرسل، كما في الإصابة ١/ ٢٢٢.

(٢) مسند أحمد (١٧٣٣٤) و(١٧٤٥٢).

(٣) في الأصل و(م): معاذ. والصواب ما أثبتناه.

(٤) كذا جاء الفعل بإثبات الألف، والجادة حذفها؛ لأن الفعل مجزوم بـ «لا» الناهية، وقد يخرج هنا على أن الألف للإشباع، كما فعل السمين في الدر المصون ١٠/ ٧٦١ في تخريج قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ على القول بأن «لا» ناهية.

(٥) في سننه (٢٩٠٢)، (٢٩٠٣).

(٦) من قوله: واعلم أنَّ... إلى هنا ليس في (م).

(٧) في صحيحه إثر الحديث (٧٧٤)، ونقله المصنف عنه بواسطة السيوطي في الإتقان ٢/ ١١٣١.

(٨) في صحيحه إثر الحديث (٧٧٧)، والكلام من الإتقان.

وذهب آخرون إلى التفضيل؛ لظواهر الأحاديث، منهم إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربي وحجة الإسلام الغزالي. وقال القرطبيُّ(١): إنه الحق، ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلِّمين(٢).

وقال ابن الحصار(٣): العَجَبُ ممن يذكرُ(٤) الاختلافَ في الفضل مع كثرة النصوص الواردة فيه.

واختلف القائلون بالتفضيل، فقال بعضُهم: الفضلُ راجعٌ إلى عِظَمِ ومضاعفة الثواب بحَسَبِ انتقالات النفس وخشيتها وتدبُّرها عند أوصاف العُلا.

وقيل: بل يرجعُ لِذَات اللفظ، فإنَّ ما(٥) تضمَّنته سورةُ الإخلاص مثلاً من الدلالة على الوحدانية وصفاته تعالى، ليس موجوداً في «تبَّت» مثلاً، فالتفضيلُ إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها.

ونقل البيهقيُّ عن الحليميِّ(٦) أنَّ معنى التفضيل بين الآيات والسور يرجعُ إلى أشياءَ:

أحدها: أن يكون العملُ بها أولى من العمل بأُخرى وأَعْوَدَ على الناس، وعلى هذا يقال في آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد: خيرٌ من آيات القصص؛ لأنه إنما أُريد بها تأكيدُ الأمر والنهي والإنذار والتبشير، ولا غنى للناس عن هذه الأمور، وقد يستغنونَ عن القصص، فكان ما هو أَعودُ عليهم وأنفعُ لهم مما يجري مجرى الأصول خيرٌ لهم مما يُجْعَلُ تبعاً لما لا بدَّ منه.

---

(١) في تفسيره ١/ ١٧٠، والكلام من الإتقان.

(٢) من قوله: واعلم أن، إلى هذا الموضع ليس في (م).

(٣) في (م): الحصاد، وهو تصحيف، والمثبت من تفسير القرطبي والإتقان، وابن الحصار هو عبد الرحمن بن أحمد القرطبي المالكي، المتوفى سنة (٤٢٢هـ). ينظر السير ١٧/ ٤٧٣.

(٤) في الأصل و(م): ينكر، وهو تصحيف، والمثبت من تفسير القرطبي والإتقان.

(٥) قوله: ما، ليس في (م)، والمثبت من الأصل والإتقان.

(٦) في الأصل و(م): ونقل الحليمي عن البيهقي، والصواب ما أثبت، بدليل أن العبارة في الإتقان: وقال الحليمي ونقله عنه البيهقي. ولأن وفاة البيهقي متأخرة عن الحليمي، وكلامهما في المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٤٤، وشعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٥١٥.

الثاني: أن يقال: الآياتُ التي تشتملُ على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته، والدلالة على عظمته عزَّ وجلَّ أفضلُ، بمعنى أنها أسنى وأجلُّ قدراً مما لا تشتملُ على ذلك.

الثالث: أن يقال: سورةٌ خيرٌ من سورةٍ، أو آيةٌ خيرٌ من آيةٍ، بمعنى أنَّ القارئَ يتعجَّلُ له بقراءتها فائدةٌ سوى الثواب الآجل، ويتأدَّى منه بتلاوتها عبادةٌ كآية الكرسي والإخلاص والمعوّذتين، فإنَّ قارئها يتعجَّلُ بقراءتها الاحترازَ مما يخشى، والاعتصامَ بالله تعالى، ويتأدّى بتلاوتها عبادةُ الله سبحانه؛ لما فيها من ذِكْره تعالى بالصفات العُلا على سبيل الاعتقاد لها، وسكون النفس إلى فضل ذلك الذكر وبركته، وأما آياتُ الحُكْم فلا يقعُ بنفس تلاوتها إقامةُ حُكْمٍ، وإنما يقعُ بها عِلْمٌ.

وقد يقال: إنَّ سورةً أفضلُ من سورةٍ؛ لأنَّ الله تعالى جعلَ قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها، وأَوجبَ بها من الثواب ما لم يوجب سبحانه لغيرها، وإن كان المعنى الذي لأجله بلغَ بها هذا المقدار لا يظهرُ لنا، وهذا نظيرُ ما يقال في تفضيل الأزمنة والأمكنة بعضها على بعض على ما سمعت آنفاً.

وبالجملة التفضيلُ بأحد هذه الاعتبارات لا ينافي كونَ الكلِّ كلامَ الله عز وجل ومتَّحد النسبة إليه سبحانه كما لا يخفى، والله تعالى أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ المشهورُ أنَّ «هو» ضمير الشأن، ومحلُّه الرفعُ على الابتداء، خبرُهُ الجملةُ بعده، ومثلُها لا يكون لها رابطٌ؛ لأنها عينُ المبتدأ في المعنى، والسِّرُّ في تصديرها به التنبيهُ من أول الأمر على فخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة التحقيق والتقرير، فإنَّ الضميرَ لا يُفهَمُ منه من أول الأمر إلا شأنٌ مُبهَمٌ له خطرٌ جليلٌ، فيبقى الذهنُ مترقِّباً لما أمامه مما يفسِّره ويزيلُ إبهامه، فيتمكَّنُ عند وروده له فَضْلَ تمكُّنٍ، وقولُ الشيخ عبد القاهر في «دلائل الإعجاز»[1] إنَّ له مع

(١) ص٣١٧.

«إنَّ» حُسْناً بل لا يصحُّ بدونها. غيرُ مسلَّمٍ، نعم قال الشهابُ القاسميُّ[1]: إنَّ هاهنا إشكالاً؛ لأنه إن جُعِلَ الخبرُ مجموعَ معنى الجملة المبيَّن في باب القضية، أعني: مجموع «الله» ومعنى «أحد» والنسبة بينهما، ففيه أنَّ الظاهرَ أنَّ ذلك المجموعَ ليس هو الشأنُ، وإنما الشأنُ مضمونُ الجملة الذي هو مُفردٌ، أعني: الوحدانية، وإن جُعِلَ مضمونَ الجملة الذي هو مفردٌ، فتخصيصُ عدم الرابط بالجملة المخبَرِ بها عن ضمير الشأن غيرُ متَّجهٍ؛ إذ كلُّ جملةٍ كذلك؛ لأنَّ الخبَر لا بدَّ من اتحاده بالمبتدأ بحسب الذات، ولا يتَّحدُ به كذلك إلا مضمون الجملة الذي هو مُفرَدٌ.

وأجيب باختيار الشّقِّ الأول كما يُرشِدُ إليه تعبيرهم عن هذا الضمير أحياناً بضمير القصة، ضرورةَ أنَّ مضمونَ الجملة الذي هو مُفرَدٌ ليس بقصة، وإنما القصَّةُ معناها المبيّنُ في بابِ القضية، وأيضاً هم يعدُّون مثل قوله ﷺ: «أَحَقُّ ما قال العبد، وكلُّنا لك عبدٌ: لا مانعَ لما أَعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدّ»[2] من الجمل التي هي عينُ المبتدأ في المعنى، الغير المحتاجة إلى الضمير لذلك، ومن المعلوم أنَّ ما يقال ليس المضمونَ الذي هو مفردٌ، بل هو الجملةُ بذلك المعنى، ولذا تراهم يُوجبون كَسْرَ همزة «إنَّ» بعد القول، وكذا تمثيلهم لها بـ: نطقي الله حسبي وكفى، أي: منطوقي الذي أَنطقُ به ذلك؛ إذ من الظاهر أنَّ ما نطقَ به هو الجملةُ بالمعنى المعروف، وقد دلَّ كلامُ ابن مالك في «التسهيل» على أنَّ المراد بكون[3] الجملة التي لا تحتاج إلى رابطٍ عينَ المبتدأ أنها وقعت خبراً عن مُفرَدٍ مدلولُهُ جملةٌ[4]. وهو ظاهرٌ فيما قلنا أيضاً، وكونُ ذلك

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، شهاب الدين، أبو العباس بن أبي القاسم الحميري المالكي، الفاسي الأصل، القسنطيني المولد، ويعرف بالخلُّوف، له: «نظم المغني» في النحو، و«نظم التلخيص» في المعاني والبيان، و«تحرير الميزان» في العروض، وله ديوان شعر، توفي سنة (٨٩٩هـ). الضوء اللامع ٢/ ١٢٢، ومعجم المطبوعات ص ٩٩، والأعلام ١/ ٢٣١.

(٢) أخرجه أحمد (١١٨٢٨)، ومسلم (٤٧٧) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) في (م): على المراد يكون.

(٤) التسهيل ص٤٨ بنحوه.

شأناً ـ أي: عظيماً من الأمور ـ باعتبار ما تضمَّنه، وَوَصْفُ الكلام بالعِظَمِ ومقابله بهذا الاعتبار شائعٌ ذائعٌ.

وقال العلامة أحمد الغنيمي[1]: إن أُريد أنها عينُهُ بحَسَبِ المفهوم، فهو مُشكِلٌ؛ لعدم الفائدة، وإن أُريد عينُهُ بحسب المصدّق مع التغاير في المفهوم كما هو شأنُ سائر الموضوعات مع محمولاتها، فقد يقال: إنه مشكلٌ أيضاً؛ إذ ما صدق ضمير الشأن أعمّ من «الله أحد»، والخاصُّ لا يُحمَلُ على العامِّ في القضايا الكلية، ودعوى الجزئية في هذا المقام ينبو عنه تصريحهم بأنَّ ضميرَ الشأن لا يخلو عن إبهام، وبعبارةٍ أخرى: وهي أنَّ ما صدق عليه ضميرُ الشأن مُفْرَدٌ، وما صدق الجملة مُرَكَّبٌ، ولا شيءَ من المفرد بمركَّبٍ، ولذا تراهم يُؤوِّلون الجملةَ الواقعةَ خبراً بمفردٍ صادقٍ على المبتدأ؛ ليصحَّ وقوعها خبراً، والتزام ذلك في الجملة الواقعة خبراً عن ضمير الشأن ينافيه تصريحهم بأنها غيرُ مُؤَوَّلةٍ بالمفرد، وإن كانت في موقعه.

وأُجيب بأنَّ معنى قولهم: هو ضميرُ الشأن، أنه ضميرٌ راجعٌ إليه، وموضوعٌ موضعه، وإن لم يسبقْ له ذِكْرٌ؛ للإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيثُ يستحضرهُ كلُّ أحدٍ، وإليه يُشير كلُّ مشير، وعليه يعودُ كلُّ ضمير. وقولهم في عَدِّ الضمائر التي ترجعُ إلى متأخِّر لفظاً ورتبةً: منها ضميرُ الشأن، فإنه راجعٌ إلى الجملة بعده = مسامحةٌ ارتكبوها؛ لأنَّ بيانَ الشأن وتعيينَ المراد به بها، فما صدق الضمير هو بعينه ما صدق الشأن الذي عادَ هو عليه، فيختارُ الشقَّ الثاني، فإما أن يُرادَ بالشأن الشأنُ المعهود ادِّعاءً، وتُجعَلَ القضيةُ شخصيةً نظيرَ: هذا زيدٌ، وإما أن يُرادَ المعنى الكلي وتُجعل القضيةُ مهملةً، وهي في قوة الجزئية، كأنه قيل: بعضُ الشأن الله أحد.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن علي، شهاب الدين، الخزرجي الأنصاري، المصري الحنفي، نحوي متكلم، له شروح وحواشٍ في الأصول والعربية، وله تعليقات على تفاسير البيضاوي والزمخشري وأبي السعود، جمعها في كتاب سمي «حاشية الغنيمي في التفسير»، توفي سنة (١٠٤٤هـ). هدية العارفين ١/ ١٥٨، والأعلام ١/ ٢٣٧.

وجاء الإبهامُ الذي ادَّعى تصريحهم به من عَدَمِ تعيُّنِ البعض قبل ذِكْرِ الجملة، وحَمْلِها عليه، وما صدق عليه الشأن كما يكون مفرداً يكونُ جملةً، فليكن هنا كذلك، واستمجد الأول، واحتمال الكلية مبالغةً ـ نحو: كل الصَّيد في جوف الفَرَا[١] ـ كما ترى، فليتأمل.

وجوَّزوا أن يكون «هو» ضمير المسؤول عنه، أو المطلوب صفته أو نسبته، فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، والبخاريُّ في «تاريخه»، والترمذيُّ، والبغويُّ في «معجمه»، وابن [أبي] عاصم في «السنة»، والحاكم وصححه، وغيرهم، عن أُبيِّ بن كعب أنَّ المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: يا محمد، انسبْ لنا ربَّك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ السورة[٢].

وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبرانيُّ في «الأوسط» والبيهقيُّ بسندٍ حَسَنٍ وآخرون عن جابر قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: انسبْ لنا ربك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلخ[٣].

وفي «المعالم»[٤] عن ابن عباس أنَّ عامرَ بن الطفيل وأَربدَ بن ربيعة أتيا النبيَّ ﷺ، فقال عامر: إلامَ تدعونا يا محمد؟ قال: «إلى الله» قالا: صِفْهُ لنا: أمِنْ ذهبٍ هو، أم من فضة، أو من حديدٍ، أو من خشب؟ فنزلت هذه السورة، فأهلك الله تعالى أربدَ بالصاعقة، وعامراً بالطاعون.

وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقيُّ في «الأسماء والصفات»[٥] عن ابن عباس أنَّ

---

(١) الفَرَأ: حمار الوحش، وهو في المثل بغير همز؛ لأن الأمثال موضوعة على الوقف، وينظر ما سلف عند تفسير الآية (٤) من سورة لقمان.

(٢) أحمد (٢١٢١٩)، والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ٢٤٥، والترمذي (٣٣٦٤)، والسنة لابن أبي عاصم (٦٦٣)، والحاكم ٢/ ٥٤٠. وإسناده ضعيف كما سلف في بداية تفسير هذه السورة.

(٣) ابن جرير ٢٤/ ٧٢٨، والطبراني في الأوسط (٥٦٨٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٠٨)، والكلام من الدر المنثور ٦/ ٤١٠.

(٤) معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٥٤٤.

(٥) الدر المنثور ٦/ ٤١٠، وهو في الأسماء والصفات (٦٠٦).

اليهودَ جاءت إلى النبيِّ عليه الصلاة والسلام منهم كعبُ بن الأشرف وحُيي بن أَخطب، فقالوا: يا محمدُ، صِفْ لنا ربَّكَ الذي بعثكَ؟ فأنزل الله تعالى السورة.

وكون السائلين اليهود مرويٌّ عن الضحاك وابن جبير وقتادة ومقاتل، وهو ظاهرٌ في أنَّ السورةَ مدنيةٌ.

وجاز رجوعُ الضمير إلى ذلك للعلم به من السؤال، وجَرْيِ ذِكْرِهِ فيه، وهو عليه مبتدأٌ والاسم الجليلُ خبرُهُ، و«أحدٌ» خبرٌ بعد خبر، وأجاز الزمخشريُّ[1] أن يكون بدلاً من الاسم الجليل على ما هو المختار من جواز إبدال النكرة من المعرفة، وأن يكونَ خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هو أحدٌ.

وأجاز أبو البقاء[2] أن يكونَ الاسمُ الأعظمُ بدلاً من «هو»، و«أحدٌ» خبرُه.

و«الله» تعالى وتَقدَّسَ: عَلَمٌ على الذات الواجب الوجود كما ذهب إليه جمهور الأشاعرة وغيرهم، خلافاً للمعتزلة، حيث قالوا: العَلَمُ في حَقِّهِ سبحانه مُحالٌ؛ لأنَّ أحداً لا يعلمُ ذاته تعالى المخصوص بخصوصيةٍ حتى يُوضَع له، وإنما يُعلَمُ بمفهوماتٍ كُلِّيةٍ منحصرةٍ في فَرْدٍ، فيكونُ اللفظُ موضوعاً لأمثال تلك المفهومات الكلية، فلا يكونُ عَلَماً.

وَرُدَّ بأنه تعالى عالمٌ بخصوصية ذاته، فيجوز أن يضعَ لَفْظاً بإزائه بخصوصه، فيكونُ عَلَماً، وهذا على مذهب القائلين بأنَّ الواضعَ هو الله تعالى ظاهرٌ، إلا أنه يلزمُ أن يكونَ ما يُفهَمُ من لفظ «الله» غيرَ ما وضِعَ له؛ إذ لا يعلمُ غيره تعالى خصوصيةَ ذاته تعالى التي هي الموضوعُ له على هذا التقدير، والقولُ بأنه يجوزُ أن يكونَ المفهوم الكليُّ آلةً للوضع، ويكون الموضوع له هو الخصوصية التي يَصْدُقُ عليها المفهوم الكُلِّيُّ كما قيل في هذا ونظائره، يلزمُ عليه أيضاً أن يكونَ وَضْعُ اللفظ لما لا يُفهَمُ منه، فإنَّا لا نفهمُ من أسمائه تعالى إلا تلك المفهومات الكُلِّية، والظاهرُ أنَّ الملائكةَ عليهم السلام كذلك؛ لاحتجاب ذاته عزَّ وجلَّ عن غيره سبحانه، ومن

(١) في الكشاف ٤/ ٢٩٨.
(٢) في الإملاء ٤/ ٤٨٧.

هنا استظهر بعضُ الأَجِلَّةِ ما نُقِلَ عن حُجَّة الإسلام أنَّ الأشبهَ أنَّ الاسمَ الجليلَ جارٍ ـ في الدلالة على الموجود الحقِّ الجامعِ لصفات الإلهية، المنعوتِ بنعوت الربوبية، المتفردِ بالوجود الحقيقي ـ مجرى الأعلام[١]. أي: وليس بعَلَمٍ.

وقد مرَّ ما يتعلَّقُ بذلك أولَ الكتاب فارجع إليه.

بقي في هذا المقام بحثٌ، وهو أنَّ الأعلامَ الشخصيةَ كزيدٍ إما أن يكون كلٌّ منها موضوعاً للشخص المعيَّن كما هو المتبادر المشهور، فإذا أُخبر أحدٌ بتولُّدِ ابنٍ له فسمَّاه زيداً مثلاً من غير أن يبصره، يكون ذلك اللفظُ اسماً للصورة الخيالية التي حصلتْ في مخيِّلته؛ وحينئذٍ إذا لم يكن المولودُ بهذه الصورة[٢]، لم يكن إطلاقُ الاسم عليه بحَسَبِ ذلك الوضع، ولو قيل بكونه موضوعاً للمفهوم الكُلِّيِّ المنحصر في ذلك الفردِ لم يكن عَلَماً كما سبق، ثم إذا سمعنا عَلَماً من تلك الأعلام الشخصية، ولم نبصرْ مسمَّاه أصلاً، فإنَّا لا نفهمُ الخصوصيةَ التي هو عليها، بل ربما تخيَّلناه عل غير ما هو عليه من الصور.

وإما أن يكون جميعُ تلك الصور الخيالية موضوعاً له، فيكون من قبيل الألفاظ المشتركة بين معانٍ غيرِ محصورة.

وإما أن يكون الموضوعُ له هو الخصوصيةَ التي هو عليها فقط، فيكونُ غيرُها خارجاً عن الموضوع له، فيكونُ فَهْمُ غيرها من الخصوصيات منه غَلَطاً، فإما أن يتركَ دعوى كون تلك الأعلام جزئياتٍ حقيقية، ويقال: إنها موضوعاتٌ للمفهوماتِ الكلية المنحصرة في الفرد، أو يُلتزمَ أحدُ الاحتمالات الأُخر، وكلا الوجهين محلُّ تأملٍ كما ترى، فتأمل.

و«أحدٌ»: قالوا: همزته مبدَلةٌ من الواو، وأصله: وَحَدٌ، وإبدالُ الواو المفتوحة همزةً قليلٌ، ومنه قولهم: امرأةٌ أناةٌ، يريدون وناةٌ؛ لأنه من الوَنى، وهو الفُتور. وهذا بخلاف: أَحدٍ، الذي يُلازمُ النفيَ ونحوه، ويراد به العموم كما في قوله

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي ص٦١. وجاء في (م): المنفرد، بدل: المتفرد.

(٢) في (م): السورة.

تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وقوله عليه الصلاة والسلام: «أُحِلَّتْ ليَ الغنائمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي»[١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨] وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦] فإنَّ همزته أصلية. وقيل: الهمزةُ فيه أصليةٌ كالهمزة في الآخر.

والفرقُ بينهما قال الراغب: إنَّ المختصَّ بالنفي منهما[٢] لاستغراق جنس الناطقين، ويتناولُ القليلَ والكثيرَ على طريق الاجتماع والافتراق، نحو: ما في الدار أحدٌ، أي: لا واحدٌ ولا اثنانِ فصاعداً، لا مجتمعين ولا مفترقين، ولهذا لم يصحَّ استعماله في الإثبات؛ لأنَّ نفيَ المتضادَّين يصحُّ، ولا يصحُّ إثباتهما، فلو قيل: في الدار أحدٌ، لكان فيه إثباتُ واحدٍ منفردٍ، مع إثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين، وذلك ظاهرُ الإحالة، ولتناوُلِ ذلك ما فوق الواحد يصحُّ أن يقال: ما من أحدٍ فاضِلينَ، وعليه الآية المذكورةُ آنفاً.

والمستعملُ في الإثبات على ثلاثة أوجه: الأول: أن يُضَمَّ إلى العشرات نحو: أحدَ عشرَ، وأحدَ وعشرون. والثاني: أن يُستعملَ مضافاً، أو مضافاً إليه بمعنى الأول، كما في قوله تعالى: ﴿أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١] وقولهم: يومُ الأحدِ، أي: يومُ الأولِ. والثالث: أن يُستعملَ مطلقاً وَصْفاً، وليس ذلك إلا في وَصْفِ الله تعالى، وهو وإن كان أصلُهُ «وَحَداً» إلا أنَّ «وَحَداً» يُستعملُ في غيره سبحانه، نحو قول النابغة:

كأنَّ رَحْلي وقد زال النهارُ بنا ... بذي الجليلِ على مُستأنسٍ وَحِدِ

انتهى[٣].

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، وأحمد (١٤٢٦٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) في هامش الأصل: قال بعض الأفاضل: إنه لم يرد إلا في النفي أو مع كلمة «كل» فلا تغفل.

(٣) المفردات (أحد)، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص٣١. وذو الجليل: وادٍ قرب مكة. معجم البلدان ٢/ ١٥٨. وقد سلف الكلام عن هذه المسألة مع قول الراغب عند تفسير الآية (٣٢) من سورة الأحزاب.

وقال مكي: أصلُ «أَحدٍ»: واحِدٌ، فأَبدلوا الواوَ همزةً، فاجتمعَ أَلِفان؛ لأنَّ الهمزةَ تُشبه الألفَ، فحذفت إحداهما تخفيفاً[١].

وفرَّق ثعلبٌ بين: أحدٍ وواحدٍ، بأنَّ «أحداً» لا يُبنى عليه العددُ ابتداءً، فلا يقال: أحدٌ واثنانِ، كما يقال: واحدٌ واثنان، ولا يقال: رجلٌ أحدٌ، كما يقال: رجلٌ واحدٌ، ولذلك اختصَّ به سبحانه.

وصرَّح بالاختصاص الأزهريُّ أيضاً في تفسير «أسماء الله تعالى الحسنى» فقال: الأحد من صفات الله تعالى التي استأثرَ سبحانه بها، فلا يشركه عزَّ وجلَّ فيها شيءٌ، ولا يُوصَفُ شيءٌ بالأحد غير الله تعالى، فلا يقال: رجلٌ أحدٌ، ولا: درهمٌ أحدٌ، وإنما يقال: رجلٌ أو درهمٌ واحدٌ[٢].

وفرَّقَ بعضُهم بينهما أيضاً بأنَّ الأحد في النفي نصٌّ في العموم، بخلاف الواحد، فإنه محتملٌ للعموم وغيره، فيقال: ما في الدار أحدٌ، ولا يقال: بل اثنان، ويجوز أن يقال: ما في الدار واحدٌ، بل اثنان.

ونُقل عن بعض الحنفية أنه قال في التفرقة بينهما: إنَّ الأحديةَ لا تحتملُ الجزئيةَ والعدديةَ بحالٍ، والواحديةَ تحتملهما لأنه يقال: مئةٌ واحدةٍ، وألفُ واحدٍ، ولا يقال: مئة أحدٍ، ولا: ألفُ أحدٍ، وبنى على ذلك مسألة الإمام محمد بن الحسن التي ذكرها في «الجامع الكبير»[٣] إذا كان لرجلٍ أربعُ نسوةٍ، فقال: والله لا أقربُ واحدةً منكنَّ. صار مُولِياً منهنَّ جميعاً، ولم يجزْ أن يقربَ واحدةً منهنَّ إلا بكفارة، ولو قال: والله لا أَقربُ إحداكنَّ. لم يصرْ مُولياً إلا من إحداهنَّ، والبيان إليه.

وفرَّق الخطّابيُّ بأنَّ الأحدية لتفرُّدِ الذات، والواحدية لنفي المشاركة في الصفات. ونُقل عن المحقِّقين التفرقةُ بعكس ذلك. ولَمَّا لم ينفكَّ في شأنه تعالى أحدُ الأمرين من الآخر قيل: الواحدُ الأحد، في حُكم اسمٍ واحدٍ.

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٥٣.

(٢) من قوله: وصرح.... إلى هنا ليس في (م).

(٣) وذكرها أيضاً في المبسوط ٧/ ٢٦.

وفسَّر الأحد هنا ابن عباس وأبو عبيدة ـ كما قال ابن الجوزي[١] ـ بالواحد، وأُيِّدَ بقراءة الأعمش: «قل هو الله الواحد»[٢]، وفُسِّرَ بما لا يتجزّأ ولا ينقسمُ.

وقال بعض الأجلَّة: إنَّ الواحدَ مقولٌ على ما تحته بالتشكيك، فالمراد به هنا حيث أُطلق: المتَّصفُ بالواحدية التي لا يمكنُ أن يكونَ أزيد منها ولا أكمل، فهو ما يكون منزَّهَ الذات عن أنحاء التركيب[٣] والتعدُّد خارجاً وذهناً، وما يستلزم أحدَهما كالجسمية والتحيُّز والمشاركة في الحقيقة وخواصِّها[٤]، كوجوب الوجود، والقدرة الذاتية، والحكمة التامة المقتضية للألُوهية.

وهو مأخوذٌ من كلام الرئيس أبي علي بن سينا في تفسيره السورةَ الجليلةَ حيث قال: إنَّ «أحداً» دالٌّ على أنه تعالى واحدٌ من جميع الوجوه، وأنه لا كثرةَ هناك أصلاً لا كثرةً معنويةً، وهي كثرةُ المقوِّمات والأجناس والفصول، وكثرة الأجزاء الخارجية[٥] المتمايزة عقلاً كما في المادة والصورة، والكثرة الحسية بالقوة أو بالفعل كما في الجسم، وذلك يتضمَّنُ لكونه سبحانه منزَّهاً عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والأبعاض والأعضاء والأشكال والألوان وسائر ما يثلمُ الوحدة الكاملة والبَساطة الحقَّةَ اللائقة بكرم وجهه عزَّ وجلَّ عن أن يشبهه شيءٌ أو يساويه سبحانه شيءٌ.

وقال ابن عقيل الحنبلي: الذي يصحُّ لنا من القول مع إثبات الصفات أنه تعالى واحدٌ في إلهيَّته لا غير.

وقال غيره من السلفيين كالحافظ ابن رجب: هو سبحانه الواحدُ في إلهيَّته وربوبيته، فلا معبودَ ولا ربَّ سواه عزَّ وجلَّ. واختار بعد وَصْفه تعالى بما وَرَدَ له

---

(١) في زاد المسير ٩/ ٢٦٧.

(٢) القراءات الشاذة ص١٨٢، والكشاف ٤/ ٢٩٨.

(٣) أي: أقسامه، وهو جمع نَحْوٍ بمعنى طريق، فتجوَّز به عما ذكر. حاشية الشهاب ٨/ ٤١١.

(٤) قوله: كالجسمية والتحيز، مثالٌ لما يستلزم التركيب، وما بعده لما يستلزم التعدد. حاشية الشهاب ٨/ ٤١٢.

(٥) كذا وقعت العبارة في الأصل و(م)، وصوابها: ولا كثرة حسية، وهي كثرة الأجزاء الخارجية... إلخ، كما جاء في التحرير والتنوير عند تفسير هذه السورة نقلاً عن ابن سينا.

سبحانه من الصفات أنَّ المرادَ الواحديةُ الكاملةُ، وذلك على الوجهين: كون الضمير للشأن، وكونه للمسؤول عنه، ولا يصحُّ أن يُرادَ الواحدُ بالعدد أصلاً؛ إذ يخلو الكلامُ عليه من الفائدة.

وذكر بعضُهم أنَّ الاسمَ الجليلَ يدلُّ على جميع صفات الكمال، وهي الصفاتُ الثبوتيةُ، ويقال لها صفاتُ الإكرام أيضاً، والأحدُ يدلُّ على جميع صفات الجلال، وهي الصفاتُ السلبيةُ، ويتضمَّنُ الكلامُ على كونهما خبرين الإخبارَ بكون المسؤول عنه متَّصفاً بجميع الصفات الجلالية والكمالية.

وتُعقِّبَ بأنَّ الإلهيةَ جامعةٌ لجميع ذلك، بل كلُّ واحدٍ من الأسماء الحسنى كذلك؛ لأنَّ الهويةَ الإلهية لا يمكنُ التعبيرُ عنها لجلالتها وعَظَمتها إلا بأنه هو هو، وشَرْحُ تلك الهوية بلوازمَ منها ثبوتيةٌ ومنها سلبيةٌ، واسمُ الله تعالى متناولٌ لهما جميعاً، فهو إشارةٌ إلى هويته تعالى، والله سبحانه كالتعريف لها، فلذا عقّب به، وكلامُ الرئيس ينادي بذلك، وسنشير إليه إن شاء الله تعالى.

وبعضهم أنكر استجماع لفظ الله للصفات السلبية وقال: إنه مستجمعٌ للصفات الثبوتية لا غير. ونسب ذلك للإمام، واستدلَّ بما فيه نظر.

والحقُّ عندي أنْ لا دلالة بالذات إلا على الذات والإشعار باعتبار اللزوم والاشتهار بالجميع[(١)].

وقرأ عبد الله وأُبيّ: «هو الله أحد» بغير «قل»[(٢)]. وقد اتفقوا على أنه لا بدَّ منها في «قل يا أيها الكافرون»، ولا تجوز في «تبَّت» فقيل: لعلَّ ذلك لأنَّ سورةَ «الكافرين» مشاقَّةُ الرسول ﷺ، أو موادعته عليه الصلاة والسلام لهم، ومثل ذلك يناسب أن يكون من الله تعالى؛ لأنه ﷺ مأمورٌ بالإنذار والجهاد. وسورة «تبَّت» معاتبةٌ لأبي لهب، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام على خُلُقٍ عظيمٍ وأدبٍ جسيمٍ، فلو أُمر بذلك لزمَ مواجهته به، وهو عمُّه ﷺ. وهذه السورةُ توحيدٌ، وهو يناسب أن

---

(١) من قوله: وبعضهم أنكر... إلى هنا ليس في (م).
(٢) القراءات الشاذة ص١٨٢، والكشاف ٤/ ٢٩٨.

يقول به تارةً ويُؤمَرَ بأن يدعوَ إليه أخرى.

وقيل في وجه «قل» في سورة «الكافرون»: إنَّ فيها ما لا يصحُّ أن يكون من الله تعالى ك : «لا أعبد ما تعبدون» فلا بدَّ فيها من ذكر «قل».

وفيه نظرٌ؛ لأنه لا يلزمُ ذكره بهذا اللفظ، فافهم.

وقال الدواني في وجه ترك «قل» في «تبَّت»: لا يبعدُ أن يقال: إنَّ القولَ بمعاتبة أبي لهبٍ إذا كان من الله تعالى، كان أدخلَ في زجره وتفضيحه.

وقيل: فيه رمزٌ إلى أنه لكونه ـ على العلّات ـ عمَّه ﷺ، لا ينبغي أن يُهينه بمثل هذا الكلام إلا الذي خلقه؛ إذ لا يبعدُ أن يتأذّى مسلمٌ من أقاربه لو سَبَّه أحدٌ غيرُهُ عزَّ وجلَّ، فقد أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما قال: مرَّتْ دُرَّةُ ابنةُ أبي لهبٍ برجلٍ، فقال: هذه ابنةُ عدوِّ الله أبي لهب. فأقبلت عليه فقالت: ذَكَرَ الله تعالى أبي بنباهته[1] وشَرَفه، وتَرَكَ أباكَ لجهالته. ثم ذكرتْ ذلك للنبيِّ ﷺ، فخطب فقال: «لا يُؤذَيَنَّ مسلمٌ بكافرٍ»[2].

ثم إنَّ إثباتَ «قل» على قراءة الجمهور في المصحف، والتزامَ قراءتها في هذه السورة ونظائرها، مع أنه ليس من دأب المأمور بـ «قل» أن يتلفَّظَ في مقام الائتمار إلا بالمقول، قال الماتريديُّ في «التأويلات»[3]: لأنَّ المأمورَ ليس المخاطَبَ به فقط، بل كلُّ أحدٍ ابتلي بما ابتلي به المأمورُ، فأُثبتَ ليبقى على مرِّ الدهور مَنًّا على العباد.

وقيل: يمكن أن يقال: المخاطب بـ «قل» نفسُ التالي، كأنه تعالى أعلمَ به أنَّ كلَّ أحدٍ عند مقام هذا المضمون ينبغي أن يأمرَ نفسه بالقول به وعدم التجاوز عنه، فتأمل والله تعالى الموفق.

---

(١) في الدر المنثور ٦/ ٤٠٩: لنسابته.

(٢) ابن أبي الدنيا في الحلم (١١٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٧/ ١٧٢. وهو مع إرساله فيه علي بن أبي علي اللهبي، قال عنه أحمد: له مناكير. وقال يحيى: ليس بشيء. وقال أبو حاتم والنسائي: متروك. الميزان ٣/ ١٤٧-١٤٨.

(٣) ٥/ ٥٣٧ بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ مبتدأٌ وخبرٌ. وقيل: الصمدُ: نعتٌ، والخبرُ ما بعده. وليس بشيء.

والصمد: قال ابن الأنباريِّ: لا خلافَ بين أهل اللغة أنه السَّيِّدُ الذي ليس فوقه أحدٌ، الذي يَصْمُدُ إليه الناس في حوائجهم وأمورهم.

وقال الزجاج: هو الذي ينتهي إليه السُّؤددُ، ويُصْمَدُ إليه، أي: يقصدهُ كلُّ شيء، وأنشدوا:

لقد بكَّر الناعي بخيرِ بني أسدْ
بعمرو بن مسعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ[1]

وقوله:

عَلَوتُهُ بحسامٍ ثمَّ قلتُ له خُذْها خُزِيْتَ فأنت السَّيِّدُ الصَّمَدُ[2]

وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هو السيدُ الذي قد كَمُلَ في سُؤدده، والشريفُ الذي قد كَمُلَ في شرفه، والعظيمُ الذي قد كَمُلَ في عَظَمته، والحليمُ الذي قد كَمُلَ في حِلْمه، والعليمُ الذي قد كَمُلَ في عِلْمه، والحكيمُ الذي قد كَمُلَ في حِكْمته، وهو الذي قد كَمُلَ في أنواع الشَّرف والسُّؤدد[3].

وعن أبي هريرة: هو المستغني عن كلِّ أحدٍ، المحتاجُ إليه كلُّ أحدٍ.

وعن ابن جبير: هو الكاملُ في جميع صفاته وأفعاله.

وعن الربيع: هو الذي لا تعتريه الآفاتُ.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٧٨، والبيت لهند بنت معبد بن نضلة، تَبكي عمَّيها اللذين قتلهما المنذر بن ماء السماء، وهو في البيان والتبيين ١/ ١٨٠، والأغاني ٢٢/ ٩٢، ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٩٦، والخزانة ١١/ ٢٦٩. ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣١٦ لسبرة بن عمرو الأسدي.

(٢) البيت في الأمالي للقالي ٢/ ٢٨٨، والصحاح (صمد)، ومجمل اللغة ٢/ ٥٤١، والبحر ٨/ ٥٢٧. وجاء في المصادر عدا البحر: حذيف، بدل: خزيت.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٧٣٦.

وعن مقاتل ابن حيان: هو الذي لا عَيْبَ فيه.

وعن قتادة: هو الباقي بعد خَلْقه. ونحوه قولُ مَعْمَرٍ: هو الدائمُ، وقولُ مُرَّةَ الهمدَاني: هو الذي لا يبلى ولا يفنى، وعنه أيضاً: هو الذي يحكمُ ما يريدُ، ويفعلُ ما يشاء، لا مُعقِّبَ لحكمه، ولا رادَّ لقضائه.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم[1] عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ـ قال: لا أعلمه إلا قد رفعه ـ قال: الصَّمَدُ: الذي لا جَوْفَ له. وروي عن الحسن ومجاهد، ومنه قوله:

شِهابُ حُروبٍ لا تزال جيادُهُ عوابسَ يَعْلُكْنَ الشَّكيمَ المُصَمَّدا[2]

وعن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود قال: الصَّمَدُ: الذي ليس له أحشاء[3]. وهو روايةٌ عن ابن عباس.

وعن عكرمة: هو الذي لا يطعم. وفي رواية أخرى: الذي لم يخرجْ منه شيءٌ. وعن الشعبي: هو الذي لا يأكلُ ولا يشربُ.

وعن طائفةٍ منهم أُبيٌّ بن كعب والربيعُ بن أنس: إنه الذي لم يلد ولم يولد. كأنهم جعلوا ما بعده تفسيراً له.

والمعوَّلُ عليه تفسيره[4] بالسيد الذي يصمدُ إليه الخلق في الحوائج والمطالب، وتفسيرُهُ بالذي لا جوفَ له وما عداهما إما راجعٌ إليهما، أو هو مما لا تساعد عليه

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/٧٣٣، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا غريب جدًّا، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة.
قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٥٣٦: وفي هذا التفسير نظر؛ لأنَّ الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧١، والقرطبي ٢٢/٥٥٩. والشكيم: جمع شكيمة، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس. القاموس المحيط (شكم).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في فتاوى ابن تيمية ١٧/ ٢٢٠ـ من طريق مندل بن علي، عن أبي روق عطية بن الحارث، عن أبي عبد الرحمن السلمي به. ومندل بن علي ضعيف كما في التقريب.

(٤) في (م): تفسيراً.

اللغة، وهو على الثاني إشارةٌ على ما زعمَ الرئيسُ وشارحُ كلامه إلى نفي الماهية، فإنَّ كلَّ ماله ماهيةٌ كان له جوفٌ وباطنٌ، وهو تلك الماهية، وفي ذلك إشارةٌ إلى وجوب الوجود من جميع الجهات؛ لأنَّ ما لا باطنَ له وهو موجودٌ، فهو لا جهةَ له ولا اعتبارَ في ذاته إلا الوجود، وكلُّ ما لا اعتبار له إلا الوجود فهو غيرُ قابلٍ للعدم، ضرورةَ أنَّ الموجودَ من حيثُ هو موجودٌ لا يقبله[1]. وجعل معنى كونه تعالى سَيِّداً أنه مبدأُ الكلِّ، وفي معناه تفسيرُهُ بالغني المطلق المحتاج إليه ما سواه، وقال: يحتمل أن يكون كلا المعنيين مراداً، فيكونُ وَصْفاً له تعالى بمجموع السَّلْب والإيجاب، وهو ظاهرٌ في جواز استعمال المشترك في كلا معنييه كما ذهب إليه الشافعيُّ.

والذي أختاره تفسيرُهُ بالسَّيِّد الذي يصمدُ إليه الخلقُ، وهو فعلٌ بمعنى مفعول، من صَمَدَ بمعنى قَصَدَ، فيتعدَّى بنفسه وباللام، وإطلاقُ الصَّمَدِ بمعنى السيد عليه تعالى مما لا خلافَ فيه، وإن كان في إطلاق السيد نفسه خلافٌ، والصحيحُ إطلاقه عليه عزَّ وجلَّ كما في الحديث: «السيد الله»[2].

وقال السهيليُّ[3]: لا يُطلَقُ عليه تعالى مضافاً، فلا يقال: سَيِّدُ الملائكة والناس مثلاً.

وقَصْدُ الخلق إياه تعالى بالحوائج أعمُّ من القصد الإرادي والقصد الطبيعي والقصد بحَسَبِ الاستعداد الأصلي الثابت لجميع الماهيَات؛ إذ هي كلُّها متوجِّهةٌ إلى المبدأ تعالى في طلب كمالاتها منه عزَّ وجلَّ.

وتعريفُهُ دون أحدٍ قيل: لعلمهم بصمديَّته تعالى دون أحديَّته.

وتُعقِّبَ بأنه لا يخلو عن كَدَرٍ؛ لأنَّ عِلْمَ المخاطَبِ بمضمون الخبر لا يقتضي

---

(١) من قوله: وهو على الثاني... إلى هنا، ليس في (م).
(٢) أخرجه أحمد (١٦٣٠٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦) من حديث مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير عن أبيه.
(٣) في الروض الأنف ٣/ ٢٩٨.

تعريفه، بل إنما يقتضي أن لا يُلْقَى إليه إلا بعد تنزيله منزلةَ الجاهل؛ لأنَّ إفادةَ لازمِ فائدةِ الخبر بمعزلٍ عن هذا المقام، فالأَولى أن يقال: إنَّ التعريفَ لإفادة الحَصْرِ، كقولك: زيدٌ الرجلُ، ولا حاجةَ إليه في الجملة السابقة بناءً على أنَّ مفهومَ «أحد» المنزَّه عن أنحاء التركيب والتعدُّدِ مطلقاً إلى آخر ما تقدَّم، مع أنهم لا يعرفون أحديَّته تعالى، ولا يعترفون بها.

واعتُرِض بأنه يقتضي أنَّ الخبرَ إذا كان معلوماً للمخاطَبِ، لا يُخبَرُ به إلا بتنزيله منزلةَ الجاهل، أو إفادته لازمَ الخبر، أو إذا قُصِدَ الحصرُ، وهو ينافي ما تقرَّرَ في المعاني من أنَّ كونَ المبتدأ والخبر معلومين لا ينافي كونَ الكلام مفيداً للسامع فائدةً مجهولةً؛ لأنَّ ما يستفيدُهُ السّامعُ من الكلام هو انتسابُ أحدهما للآخر، وكونُه هو هو، فيجوز أن يقال هنا: إنهم يعرفونه تعالى بوجهٍ ما، ويعرفون معنى المقصود، سواءٌ كان هو الله سبحانه أو غيره عندهم، ولكن لا يعرفون أنه هو سواءٌ كان بمعنى الفرد الكامل أو الجنس، فعيَّنه الله تعالى لهم.

وقيل: إنَّ «أحد» في غير النفي والعدد لا يُطلَقُ على غيره تعالى، فلم يحتجْ إلى تعريفه، بخلاف «الصَّمد»، فإنه جاء في كلامهم إطلاقُهُ على غيره عزَّ وجلَّ، أي: كما في البيتين السابقين، فلذا عُرِّفَ.

وتكرارُ الاسم الجليل دون الإتيان بالضمير قيل: للإشعار بأنَّ مَنْ لم يتَّصفْ بالصَّمَدية لم يستحقَّ الأُلوهية، وذلك على ما صرَّحَ به الدوانيُّ مأخوذٌ من إفادة تعريف الجزأين الحصرَ، فإذا قلتَ: السلطانُ العادلُ، أَشْعَرَ بأنَّ مَنْ لم يتَّصفْ بالعدل لم يستحقَّ السلطنة.

وقيل: ذلك لأنَّ تعليقَ الصَّمَد باللهِ يُشعِرُ بعِلِّيَّةِ الأُلوهية للصمدية، بناءً على أنه في الأصل صفة، وإذا كانت الصمديةُ نتيجةً للأُلوهية، لم يستحقَّ الألوهيةَ مَنْ لم يتَّصفْ بها.

وبُحِثَ فيه بأنَّ الألوهية ـ فيما يظهرُ ـ للصمدية؛ لأنه إنما يُعبَدُ لكونه محتاجاً إليه دون العكس، إلا أن يقال: المرادُ بالأُلوهية مبدؤها وما تترتَّبُ عليه، لا كونه

معبوداً بالفعل. وإنما لم يكتف بمسنَدٍ إليه واحدٍ لـ «أحد»، و«الصمد» هو الاسم الجليل، بأن يقال: اللهُ الأحدُ الصمدُ؛ للتنبيه على أنَّ كلًّا من الوصفين مستقلٌّ في تعيين الذات. وتَرْكُ العاطف في الجملة المذكورة؛ لأنها كالدليل عليه، فإنَّ مَنْ كان غنيًّا لذاته محتاجاً إليه جميعُ ما سواه، لا يكون إلا واحداً، وما سواه لا يكون إلا ممكناً محتاجاً إليه، أو لأنها كالنتيجة لذلك بناءً على أنَّ الأحديةَ تستلزمُ الصمدية والغنى المطلق، وبالجملة: هذه الجملةُ من وجهٍ تُشبهُ الدليلَ، ومن وجهٍ تُشبه النتيجة، فهي مستأنفةٌ أو مؤكِّدةٌ.

وقرأ أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن وابن أبي إسحاق وأبو السمال وأبو عمرو في رواية يونس ومحبوب والأصمعي واللؤلؤي وعبيد: «أحدُ الله»[1] بحذف التنوين، لالتقائه مع لام التعريف، وهو موجودٌ في كلام العرب، وأكثرُ ما يوجدُ في الشعر، كقول أبي الأسود الدؤلي:

فألفيته[2] غيرَ مُستعتبٍ ولا ذاكرَ اللهَ إلا قليلا[3]

وقول الآخر:

عمرو الذي هَشَمَ الثريدَ لضيفه ورجالُ مكةَ مُسْنِتُون عجافُ[4]

والجيِّدُ هو التنوينُ، وكسره لالتقاء الساكنين.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ إلخ على نحو ما سبق، ونفيُ ذلك عنه تعالى لأنَّ الولادة تقتضي انفصالَ مادةٍ منه سبحانه، وذلك يقتضي التركيبَ المنافي للصَّمَدية

---

(١) القراءات الشاذة ص٧٠١، والكشاف ٤/٢٩٨، والبحر ٨/٥٢٨.

(٢) في هامش الأصل: أوله:

فذكَّرْتُه ثم عاتبته عتاباً رفيقاً وقولاً جميلا

فألفيته ....

(٣) البيت في الكتاب ١/١٦٩، والخزانة ١١/٣٧٤.

(٤) نسب لعبد الله بن الزبعرى، وهو في ملحقات ديوانه ص٥٣، ونسب أيضاً لمطرود بن كعب الخزاعي، كما في المنمق لابن حبيب ص ١٢، والاشتقاق ص ١٣. وأسنتوا: أجدبوا. القاموس (سنت).

والأَحدية، أو لأنَّ الولد من جنس أبيه، ولا يُجانسه تعالى أحدٌ؛ لأنه سبحانه واجبٌ وغيرُهُ ممكنٌ، ولأنَّ الولدَ على ما قيل يطلبهُ العاقلُ إما لإعانته، أو ليخلفه بعده، وهو سبحانه دائمٌ باقٍ غيرُ محتاجٍ إلى شيءٍ من ذلك.

والاقتصار على الماضي دون أن يقال: لن يلدَ؛ لوروده ردًّا على مَنْ قال: إنَّ الملائكةَ بناتُ الله سبحانه، أو: المسيح ابنُ الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً. ويجوز أن يكون المرادُ استمرارَ النفي، وعُبِّر بالماضي لمشاكلة قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وهو لا بدَّ أن يكون بصيغة الماضي.

ونفي المولودية عنه سبحانه لاقتضائها المادة، فيلزمُ التركيبُ المنافي للغنى المطلق، والأحديةِ الحقيقية، أو لاقتضائها سَبْقَ العَدَم ولو بالذات، أو لاقتضائها المجانسةَ المستحيلةَ على واجب الوجود.

وقُدِّمَ نفيُ الولادة لأنه الأهمُّ؛ لأنَّ طائفةً من الكفار توهَّموا خلافه، بخلاف نفي المولودية، أو لكثرة متوهِّمي خلافِ الأول دون خلاف الثاني، بناءً على أنَّ النصارى يلزمهم بواسطة دعوى الاتحاد القول بالولادة والمولودية فيمن يعتقدونه إلهاً، وذلك على ما تضمَّنته كُتُبهم أنهم يقولون: الأبُ هو الأقنوم الأول من الثالوث، والابنُ هو الثاني الصادرُ منه صدوراً أزليًّا مساوياً بالأزلية له، وروحُ القدس هو الثالثُ الصادرُ عنهما كذلك، والطبيعةُ الإلهيةُ واحدةٌ، وهي لكلٍّ من الثلاثة، وكلٌّ منها مُتَّحدٌ معها، ومع ذلك هم ثلاثةُ جواهرَ، لا جوهرٌ واحدٌ، فالأبُ ليس هو الابن، والابنُ ليس هو الأب، وروحُ القدس ليس هو الأب ولا الابن، وهما ليسا روح القدس، ومع ذا هم إلهٌ واحدٌ؛ إذ لهم لاهوتٌ واحدٌ، وطبيعةٌ واحدةٌ، وجوهرٌ واحدٌ، وكلٌّ منهم مُتَّحدٌ مع اللاهوت، وإن كان بينهم تمايزٌ، والأولُ هو الوجودُ الواجبُ الجوهريُّ، والثاني هو العقلُ الجوهريُّ، ويقال له العلم، والثالثُ هو الإرادة(١) الجوهرية، ويقال لها: المحبة.

فالله ثلاثةُ أقانيم جوهرية، وهي على تمايزها تمايزاً حقيقيًّا، وقد يطلقون عليه

---

(١) في (م): الإدارة.

إضافيًّا ـ أي: بإضافة بعضها إلى بعضٍ ـ جوهرٌ وطبيعةٌ واحدةٌ هو الله، وليس يُوجدُ فيه غيرهُ، بل كلُّ ما هو داخلٌ فيه عينُ ذاته.

ويقولون: إنَّ فيه ـ تعالى عمَّا يقولون ـ أربعَ إضافاتٍ:

أُولاها: فاعليةُ التعقُّل[1] في الأقنوم الأول.

ثانيتها: مفعوليةُ التعقُّل في الأقنوم الثاني الذي هو صورةُ عَقْلِ الأب.

ثالثتها: فاعليةُ الانبثاق في الأقنوم الأول والثاني اللَّذين لهما الإرادة.

رابعتها: مفعولية هذا الانبثاق في الأقنوم الثالث الذي هو حُبُّ الإرادة الإلهية التي للأقنوم الأول والثاني.

وزعموا أنَّ التعبيرَ بالفاعلية والمفعولية في الأقانيم الإلهية على سبيل التوسُّع، وليست الفاعليةُ في الأب نحوَ الابن إلا الأبوَّةَ، وفيه وفي الابن نحو روح القدس، ليست إلا بدء صدوره منهما، وليست المفعوليةُ في الابن وروح القدس إلا البنوة في الابن والانبثاق في الروح، ويقولون: كلُّ ذلك مما يجبُ الإيمانُ به، وإن كان فوق الطَّور البشري.

ويزعمونَ أنَّ لتلك الأقانيم أسماء تلقَّوها من الحواريين، فالأقنوم الأول في الطبع الإلهي يُدعى أباً. والثاني ابناً وكلمةً وحِكْمةً ونوراً وضياءً وشعاعاً. والثالث روحَ القدس ومُعَزِّياً، وهو معنى قولهم باليونانية: أراكليط[2].

وقالوا في بيان وجه الإطلاق: إنَّ ذلك لأنَّ الأقنوم الأولَ بمنزلة ينبوعٍ ومبدأ، أَعطى الأقنومَ الثاني الصادرَ عنه بفعلٍ يقتضي شِبْهَ فاعله ـ وهو فعلُ العقل ـ طبيعتَهُ وجوهرَهُ كلَّه، حتى إنَّ الأقنوم الثاني الذي هو في صورة الأولِ الجوهرية الإلهية مساوٍ له كمالَ المساواة، وحدُّ الإيلاد هو صدورُ حيٍّ من حيٍّ بآلةٍ ومبدأ مقارنٍ يقتضي شِبْهَ طبيعته، وهنا كذلك، بل أبلغُ؛ لأنَّ للثاني الطبيعيةَ الإلهيةَ نفسَها،

---

(١) في (م): التعقيل.
(٢) في هامش الأصل: ويقال: فارقليط. وجاء في (م): ومغرياً، بدل: ومعزياً.

فلا بدع إذا سُمِّيَ الأولُ أباً والثاني ابناً، وإنما قيل للثاني كلمةٌ؛ لأنَّ الإيلادَ ليس على نحو إيلاد الحيوان والنبات، بل بفعل[1] العقل، أي: بتصوُّرِ[2] الأبِ لاهوتَه وفَهْمِه ذاتَه، ولا شكَّ أنَّ تلك الصورة كلمةٌ؛ لأنها مفهوميةُ العقل ونُطْقه، وقيل لها: حكمةٌ؛ لأنه كان مولوداً من الأب بفعل عقله الإلهي الذي هو حكمة، وقيل له: نورٌ وشعاعٌ[3] وضياءٌ؛ لأنه حيث كان حكمةً كان به معرفةُ حقائق الأشياء وانكشافها، كالمذكورات، وقيل للثالث: روح القُدُس[4]؛ لأنه صادرٌ من الأب والابن بفعل الإرادة التي هي واحدةٌ للأب والابن، ومنبثقٌ منهما بفعلٍ هو كهيجان الإرادة بالحبِّ نحو محبوبها، فهو حُبُّ الله، والله نفسُهُ هو الروحُ الصِّرْفُ والتقدُّسُ عينُهُ، ولكلٍّ من الأول والثاني وجهٌ لأنْ يُدْعى روحاً؛ لمكان الاتحاد، لكن لَمَّا دُعي الأولُ باسمٍ يدلُّ على رتبته وإضافته إلى الثاني، والثاني كذلك، اختصَّ الثالثُ بالاسم المشاعِ، ولم يُدْعَ ابناً، وإن كان له طبيعةُ الأب وجوهرُهُ كالابن؛ لأنه لم يصدرْ من الأب بفعلٍ يقتضي شِبْهَ فاعله، يعني بفعلِ العقل، بل صَدَرَ منه بفعل[5] الإرادة، فالثاني من الأول كهابيلَ من آدم، والثالثُ كحواءَ منه، والكلُّ حقيقةٌ واحدةٌ، لكن يقال لهابيل: ابنٌ، ولا يقال لها: بنتٌ. وقيل له: مُعزِّي[6]، لأنه كان عتيداً لأن يأتي الحواريين فيغريهم لفقد المسيح عليه السلام.

وزعموا أنَّ هذه الأسماء إنما تدلُّ على تمايز الأقانيم بإضافة بعضها إلى بعضٍ، لا على امتياز أحدها فضلاً على الآخر، أما الإضافة فلأنَّ النظرَ إليها من حيثُ هي إضافةٌ، وهي من تلك الحيثية لا دلالة فيها على أفضليةٍ ومفضوليةٍ[7]. وأما الفاعلية والمفعولية فلأنهما غيرُ موجودين حقيقةً، والأبوةُ والبنوةُ هاهنا لا تقتضيهما كما في

(١) في (م): يفعل.
(٢) في (م): يتصور.
(٣) في الأصل: نوراً وشعاعاً.
(٤) في (م): روح قدس.
(٥) في (م): فعل.
(٦) في (م): مغزى.
(٧) من قوله: وزعموا. . . إلى هنا ليس في (م).

المحدثات، ولذا لا يقال هنا للأب: عِلّةٌ وسببٌ لابنه، وإن قيل هناك، فالثلاثةُ متساويةٌ في الجوهر والذات واستحقاقِ العبادة والفضل من كلِّ وجهٍ.

ثم إنهم زعموا تجسُّدَ الأقنوم الثاني وهو الكلمةُ، واتحادَهُ بأشرف أجزاء البتول من الدم بقوة روح القدس، فكان المسيحُ عليه السلام المركَّبُ من الناسوت والكلمةِ، والكلمةُ مع اتحادها لم تخرجْ عن بساطتها ولم تتغيَّر؛ لأنها الحدُّ الذي ينتهي إليه الاتحادُ، فلا مانعَ في جهتها من الاتحاد، وكذا لا مانعَ في جانب الناسوت منه، فلا يتعاصى اللهَ تعالى شيءٌ.

و زعموا[1] أنَّ المسيحَ عليه السلام كان إلهاً تامًّا وإنساناً تامًّا، ذات طبيعتين ومشيئتين قائمتين بأقنومٍ إلهي، وهو أقنوم الكلمة، ومن ثَمَّ تُحمَلُ عليه الصفات الإلهية والبشرية معاً، لكن من حيثيَّتين.

ثم إنهم زادوا في الطنبور رَنَّةً وقالوا: إنَّ المسيحَ أَطعمَ يوماً الحوارِيِّينَ خبزاً، وسقاهم خمراً، فقال: أكلتمْ لحمي وشربتمْ دمي، فاتَّحدتمْ معي، وأنا مُتَّحِدٌ مع الأب. إلى رنَّاتٍ أُخَرَ هي أشهرُ من أن تُذْكَرَ.

ويُعلَمُ مما ذكرنا أنه لا فَرْقَ عندهم بين أن يقال: إنَّ الله تعالى هو المسيحُ، وبين أن يقال: إنَّ المسيحَ ابنه، وبين أن يقال: إنه سبحانه ثالثُ ثلاثةٍ، ولذا جاء في التنزيل كلٌّ من هذه الأقوال منسوباً إليهم، ولا حاجةَ إلى جَعْلِ كلِّ قولٍ لقومٍ منهم كما قال غيرُ واحدٍ من المفسِّرين والمتكلِّمين.

ثم لا يخفى منافاة ما ذكروه للأحدية والصَّمدية. وقولهم: إنَّ الأقانيمَ ـ مع كونها ثلاثةَ جواهر متمايزةً تمايزاً حقيقيًّا ـ جوهرٌ واحدٌ = لبداهةِ بطلانه لا يُسمِنُ ولا يغني، وما يذكرونه من المثال لإيضاح ذلك فهو عن الإيضاح بمعزلٍ، وبعيد عن المقصود بألفِ ألفِ منزل.

وكنّا ذكرنا في ضمن هذا الكتاب ما يتعلَّقُ ببعضِ عقائدهم مع رَدِّهِ، إلا أنه كان قبل النظر في كتبهم، وقد اعتمدنا فيه ما ذكرهُ المتكلِّمون عنهم، واليومَ لنا عَزْمٌ على

(١) في (م): زعموا. بدون واو.

تأليف رسالةٍ تتضمَّنُ تحريرَ اعتقاداتهم في الواجب تعالى، وذِكْرَ شُبَهِهم العقلية والنقلية التي يستندون إليها ويُعوِّلون في التثليث عليها حسبما وقفنا عليه في كتبهم، مع رَدِّها على أكمل وجهٍ إن شاء الله تعالى، ونسأل الله تعالى التوفيق لذلك، وأن يسلكَ سبحانه بنا في جميع أمورنا أقومَ المسالك، فهو سبحانه الجوادُ الأجود، الذي لم يجْبَهْ مَن توجَّه إليه بالرَّدِّ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ أي: لم يكافئه أحدٌ، ولم يماثله، ولم يشاكله، من صاحبةٍ وغيرها.

وقيل: هو نفيٌ للكفاءة المعتبرة بين الأزواج. وهو كما ترى.

و«له» صلة «كفواً» على ما ذهب إليه المبرد وغيره، والأصل أن يُؤخَّرَ إلا أنه قُدِّمَ للاهتمام؛ لأنَّ المقصودَ نفيُ المكافأة عن ذاته عزَّ وجلَّ، وللاهتمام أيضاً قُدِّمَ الخبرُ، مع ما فيه من رعاية الفواصل.

وعن سيبويه أنه اختار أن لا يقدَّم الظرف إذا لم يكن خبراً[(١)].

وفي شرح «الكتاب» للسيرافي: إن قال قائلٌ: قد اختار سيبويه أن لا يُقدَّمَ الظرفُ إذا لم يكن خبراً، وكتابُ الله تعالى أولى بأفصح اللغات[(٢)]؟

قيل له: إنَّ الظرفَ هنا ـ وإن لم يكن خبراً ـ مبطلٌ سقوطُه معنى الكلام؛ لأنك لو قلت: لم يكن كفواً أحدٌ، لم يكن له معنًى، فلما احتيجَ إليه صارَ بمنزلة الخبر، فَحَسُنَ ذلك.

وقال أبو حيان[(٣)]: كلام سيبويه في الظرف الذي يصلح أن يكونَ خبراً، وهو الظرفُ التامُّ، وما هنا ليس كذلك.

---

(١) ينظر الكتاب ١/ ٥٥-٥٦، والبحر ٨/ ٥٢٨-٥٢٩. وقوله: وعن سيبويه، إلى هذا الموضع ليس في الأصل.
(٢) من قوله: وفي شرح... إلى هنا، ليس في (م).
(٣) في البحر المحيط ٨/ ٥٢٩.

وقال ابن الحاجب: قُدِّمَ الظرفُ للفواصل ورعايتها، ولم يُقدَّمْ على «أحد» لئلّا يفصل بين المبتدأ وخبره. وفيه نظرٌ ظاهرٌ.

وجُوِّزَ أن يكونَ الظرفُ حالاً من «أحد» قُدِّمَ عليه رعايةً للفاصلة، ولئلّا يلتبسَ بالصفة أو الصلة، وأن يكون خبراً لـ «يكن»، ويكونُ «كفواً» حالاً من «أحدٍ» قُدِّمَ عليه لكونه نكرةً، أو حالاً من الضمير في الظرف الواقع خبراً. وهذا الوجه نقله أبو عليٍّ في «الحُجَّة» عن بعض النحاةِ[1]، وَرُدَّ بأنَّه ـ كما سمعتَ آنفاً عن أبي حيان ـ ظرفٌ ناقصٌ، لا يصحُّ أن يكون خبراً، فإن قُدِّرَ له متعلِّقٌ خاصٌّ، وهو: مماثلٌ ونحوه مما تتمُّ به الفائدة، يكون «كفواً» زائداً.

ولعلَّ وقوعَ الجمل الثلاث متعاطفةً دون ما عداها من هذه السورة؛ لأنها سِيقتْ لمعنًى وغرضٍ واحدٍ، وهو نفيُ المماثلة والمناسبة عنه تعالى بوجهٍ من الوجوه، وما تضمَّنته أقسامها[2]، لأنَّ المماثِلَ إما ولدٌ أو والدٌ أو نظيرٌ غيرهما، فلتغايرِ الأقسام واجتماعها في المُقسَم، لَزِمَ العطفُ فيها بالواو كما هو مقتضى قواعد المعاني.

وفي «كفواً» لغاتٌ: ضَمُّ الكاف وكَسْرُها وفَتْحُها مع سكون الفاء، وضَمُّ الكاف مع ضَمِّ الفاء[3].

وقرأ حمزة ويعقوب ونافعٌ في روايةٍ: «كُفْؤاً» بالهمز والتخفيف[4]، وحفصٌ بالحركة وإبدال الهمزة واواً[5]، وباقي السبعة بالحركة مهموزاً[6]. وسهَّلَ الهمزةَ الأعرجُ وأبو جعفر وشيبةُ ونافعٌ في روايةٍ[7]، وفي أخرى عنه: «كُفًى» من غير

(١) الحجة ٦/ ٤٦٢، ونقله المصنف بواسطة الشهاب في الحاشية ٨/ ٤١٣.
(٢) أي: وما تضمنته الجمل الثلاث هو أقسام المماثلة.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٥٢٨.
(٤) التيسير ص٢٢٦، والنشر ٢/ ٢١٥، عن حمزة ويعقوب، وهي خلاف المشهور عن نافع، والكلام من البحر ٨/ ٥٢٨.
(٥) التيسير ص ٢٢٦، والنشر ٢/ ٢١٥.
(٦) التيسير ص٢٢٦، والنشر ٢/ ٢١٥، وهذه هي المشهورة عن نافع.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٧، والبحر ٨/ ٥٢٨.

همزٍ، نَقَلَ حركةَ الهمزة إلى الفاء وحَذَفَ الهمزةَ[1].

وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: «كِفاءً» بكَسْرِ الكاف وفتح الفاء والمدِّ[2]، كما في قول النابغة:

لا تـقـذِفَـنِّـي بـرُكْـنٍ لا كِـفـاءَ لـه[3]

أي: لا مِثْلَ له كما قال الأعلم.

وهذه السورةُ الجليلةُ قد انطوتْ مع تقارب قُطْرِها على أشتاتِ المعارف الإلهية والعقائد الإسلامية، ولذا جاء فيها ما جاء من الأخبار، وَوَرَدَ ما وَرَدَ من الآثار.

وقال الشيخ الرئيس: انظر إلى كمال حقائق هذه السورة، أشار سبحانه أولاً إلى هويته المخصوصة التي لا اسم لها غير أنه هو، ثم عقَّبه بذِكْر الإلهية التي هي أقربُ اللوازم لتلك الحقيقة وأشدّها تعريفاً، ثم عقَّبه تعالى بذِكْر الأحدية لفائدتين:

الأولى: لئلّا يقال: إنه تركَ التعريفَ الكاملَ بذِكْر المقوِّمات، وعَدَل إلى ذِكْرِ اللوازم.

الثانية: ليدلَّ على أنه تعالى فردٌ واحدٌ من جميع الوجوه.

ورتَّبَ الأحديةَ على الإلهية ولم يعكسْ لأنَّ الإلهية عبارةٌ عن استغنائه تعالى عن الكلِّ، واحتياج الكلِّ إليه، وما كان كذلك كان واحداً مطلقاً، وإلا لكان محتاجاً إلى أجزائه، فالإلهيةُ من حيثُ هي تقتضي الوحدة، والوحدةُ لا تقتضي الإلهية.

ثم عقَّبَ ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[4]، ودلَّ على تحقيق معنى الإلهية بالصَّمَدية التي معناها وجوبُ الوجود، أو المبدئية لوجود كلِّ ما عداه من الموجودات.

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) صدر بيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٣٦، وعجزه: وإنْ تأثَّفَكَ الأعداءُ بالرِّفَد. قوله: تأثفك، أي: اجتمعوا حولك كالأثافي. والرِّفَد: جمع رفدة، أي: يرفد بعضهم بعضاً.

(٤) من قوله: وقال الشيخ... إلى هنا ليس في (م).

ثم عقَّبَ ذلك ببيان أنه لا يتولَّدُ عنه غيره؛ لأنه غيرُ متولِّدٍ عن غيره، وبيَّنَ أنه تعالى وإن كان إلهاً لجميع الموجودات، فيَّاضاً للوجود عليها، فلا يجوز أن يفيضَ الوجودُ على مثله، كما لم يكن وجودُهُ من غيره.

ثم عَقَّبَ ذلك ببيان أنه ليس في الوجود ما يساويه في قوةِ الوجود، فمِنْ أول السورة إلى «الصمد» في بيان ماهيته تعالى ولوازم ماهيته، وَوَحْدةِ حقيقته، وأنه غيرُ مُرَكَّبٍ أصلاً، ومن قوله تعالى: (لَمْ يَلِدْ) إلى (أَحَدٌ) في بيان أنه ليس ما يساويه من نوعه ولا من جنسه، لا بأن يكون سبحانه متولِّداً، ولا بأن يكون متولِّداً عنه، ولا بأن يكون موازياً في الوجود، وبهذا المبلغ يحصلُ تمامُ معرفة ذاته عزَّ وجلَّ. انتهى.

وأشار فيه إلى أنَّ «ولم يولد» كالتعليل لما قبله، وكأنْ قد قال قبلُ: إنَّ كلَّ ما كان مادِّيًا أو كان له علاقةٌ بالمادة، يكون متولِّداً من غيره، فيصيرُ تقديرُ الكلام: لم يلد؛ لأنه لم يتولَّد، والإشارةُ إلى دليله بـ «هو» أول السورة، فإنه لَمَّا لم يكن له ماهيةٌ واعتبارٌ سوى أنه هو لذاته، وَجَبَ أن لا يكونَ متولِّداً عن غيره، وإلا لكانت هُويَّته مستفادة عن غيره، فلا يكون هو لذاته، وظاهرُ العَطْفِ يقتضي عدمَ اعتبار ما أشار إليه من العِلِّيَّةِ، وقد علمتَ فيما سبقَ وجه ذِكْره.

وجَعَلَ بعضُهمُ العَطْفَ فيه قريباً من عَطفِ «لا يستقدمون» على «لا يستأخرون».

وأشار بعضُ السلف إلى أنَّ ذِكْرَ ذلك لأنه جاءَ في سبب النزول أنهم سألوا النبيَّ ﷺ عن ربِّه سبحانه: من أيِّ شيءٍ هو، أَمِنْ كذا أم من كذا؟ ومِمَّنْ وَرِثَ الدنيا ولمن يُورثها؟.

وقال الإمام: إنَّ «هو الله أحدٌ» ثلاثةُ ألفاظٍ، وكلُّ واحدٍ منها إشارةٌ إلى مقامٍ من مقامات الطالبين، فالمقامُ الأولُ مقامُ المقرَّبين، وهو أعلى مقامات السائرين إلى الله تعالى، وهؤلاء نظروا بعيون عقولهم إلى ما هيّات الأشياء وحقائقها من حيثُ هي، فما رأوا موجوداً سوى الحقّ؛ لأنه الذي يجبُ وجودُهُ لذاته، وما عداه ممكنٌ لذاته، فهو من حيثُ ذاتُهُ ليس، فقالوا: «هو» إشارةٌ إلى الحقِّ إذ ليس هناك

في نظرهم موجودٌ يرجع إليه سواه عزَّ وجلَّ ليحتاجَ إلى التميز.

والمقام الثاني لأصحاب اليمين، وهؤلاء شاهدوا الحقَّ سبحانه موجوداً، وكذا شاهدوا الخلقَ، فحصلت كثرةٌ في الموجودات في نظرهم، فلم يكن هو كافياً في الإشارة إلى الحقِّ بل لا بدَّ من مُميِّزٍ، فاحتاجوا إلى أن يقرنوا لفظة «الله» بلفظ، فقيل لأجلهم: «هو الله».

والمقام الثالث، مقامُ أصحاب الشمال الذين يُجوِّزونَ أن يكونَ واجبُ الوجود أكثرَ من واحدٍ، والإله كذلك، فجِيءَ بـ «أحد» ردًّا عليهم وإبطالاً لمقالتهم[1]. انتهى.

وبعض الصوفية عَدَّ لفظةَ «هو» من عداد الأسماء الحسنى، بل قال: إن هاء الغيبة هي اسمُهُ تعالى الحقيقيُّ؛ لدلالته على الهوية المطلقة، مع كونه من ضروريات التنفُّس الذي به بقاءُ حياة النفس، وإشعارِ رَسْمه بالإحاطة، ومرتبتِه من العدد إلى دوامه وعدم فنائه.

ونقل الدوانيُّ عن الإمام أنه قال: علَّمني بعضُ المشايخ يا هو، يا من هو، يا من لا إله إلا هو[2]. وعلى ذلك اعتقادُ أكثر المشايخ اليوم، ولم يَرِدْ ذلك في الأخبار المقبولة عن المحدِّثين، والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير الكبير ٣٢/ ١٧٩-١٨٠.
(٢) التفسير الكبير ١/ ١٥٢، وفيه: يا مَن لا هو إلا هو، بدل: يا مَن هو.